الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الوادي
كلية الآداب و اللغات قسم اللغة العربية

صورة المرأة في البيان النبوي

- دراسة بلاغية –

مذكرة تخرج للحصول على شهادة ليسانس في اللغة العربية وآدابها
تخصص–لغة–

من إعداد الطالبات: إشراف الأستاذ:

- ✓ الزهرة بوغزالة محمد * علي زواري أحمد
- ✓ ربيعة تامة
- ✓ زهية مراد
- ✓ فوزية حم عيد
- ✓ مروة قابوسه

السنة الجامعية : 1435/1434هـ 2014/2013م

بسم الله الرحمن الرحيم

لبسم الله الرحمان الرحيم

﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ

(2) خَلَقَ الْإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ

الْبَيَانَ (4)﴾

صدق الله العظيم

سورة الرحمن الآية (1 إلى 4)

شكر و عرفان

ربي أوزعنا أن نشكر نعمتك التي أنعمتها علينا ، وعلى والدينا وأن نعمل صالحا ترضاه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين

لا يسعنا ونحن في هذا المقام إلا أن نحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، فاللهم لك الحمد حتى ترضي...و لك الحمد إذا رضيت... و لك الحمد بعد الرضاء.

ثم نتقدم بجزيل الشكر الخالص إلى الأستاذ المشرف " على زواري أحمد " على مجهوداته ونصائحه القيمة التي قدمها لنا.

كما نتقدم بجزيل الامتنان والعرفان إلى الأساتذة الذين أشعلوا ذواتهم قناديلا لإنارة طريقنا بلا جزاء و لا شكورا ، نذكر منهم : مسعودة ساكر – محمد صديق معوش – علي كرباع.

كما نشكر الأخ الأطرش حمزة على المجهودات التي بذلها من أجل تقديم المذكرة في وقتها.

وفي الأخير نتقدم بالشكر وفائق التقدير و الاحترام إلي كل من سعى إلى إثمار هذا الجهد.

ربيعة – الزهرة – زهيه – فوزية– مروه

مقدمة

المبحث الأول

المبحث الأول: مفهوم وخصائص البيان النبوي

- المطلب الأول: مفهوم البيان
- المطلب الثاني: خصائص البيان
- المطلب الثالث : بلاغة البيان النبوي

المطلب الأول: مفهوم البيان

أ) – لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور مادة(بين) « وهو ما يُبين به الشيء من الدلالة وغيرها وبان الشيء بياناً: اتضح فهو بيّن وكذلك أبان الشيء فهو مبين وأبنته أنا أي أوضحته ، وتبين الشيء ظهر، فالتبيين الإيضاح و الوضوح و البيان الفصاحة ، وكلام بين ، والبين من الرجال الفصيح»[1].

كما جاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة بين «البيان :الإفصاح مع ذكاء والبين الفصيح»[2].

ومن هنا يتبن لنا أن مفهوم البيان في اللغة هو: الظهور والإيضاح وقد وردت هذه اللفظة ومشتقاتها كثيرا في القرآن الكريم. منها قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4))[3]وكذلك قوله(هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4] وكذلك قوله : ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[5] .

تدور لفظة البيان في هذه المواضع بمعنى الكشف والإيضاح والظهور، كما جاءت هذه اللفظة في الحديث النبوي الشريف في قوله عليه الصلاة والسلام «إن من البيان لسحرا»[6] المقصود به هنا إظهار المقصود بأبلغ لفظ ، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللسن وأصله الكشف والظهور[7]، فالبيان خص به الله تعالى نبينا محمد(صلى الله عليه وسلم) وعدده من نعمه علينا وجعله من آيات أنبيائه الصالحين.

---

[1] ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري لسان العرب المصرية العامة ، د ط ، د س ، ج16 ، ص 214.

[2] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي ، القاموس المحيط ، دار العلم للجميع ، بيروت ، د ط ، د س ، ج4 ، ص204.

[3] سورة الرحمان ، الآية 1 – 4.

[4] سورة آل عمرآن ، الآية 138.

[5] سورة البقرة ، الآية 187.

[6] أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، إحياء التراث ، د ط ، دس ، ص27.

[7] عائشة حسين فريدة ، البيان في ضوء الأساليب العربية ، دار قباء / د ط ، 2000 ، ص 14.

ب) –اصطلاحا :

توحي كلمة البيان في معناها العام بالتعبير عما يجول في أنفسنا من المعاني ، وهو نعمة من نعم الله علينا ، تفضل به علينا ليميزنا به عن سائر المخلوقات ، وذلك لأن التفاهم بين البشر من ضرورات الحياة أسعد حالات الإنسان أن يرى المتلقي عنه قد فهم ما أراده

ولقد تحدث عنه العلماء لأهميته في إظهار بلاغة القرآن الكريم منهم ، الجاحظ في كتابه البيان والتبيين الذي عرفه بأنه « اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضى السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان ذلك الدليل لأن مدار الأمر و الغاية التي يجري القائل عنها والسامع إنما الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام ، أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع».[1]

أما الجرجاني الذي يعد رائدا البحث والبلاغي وواضع أصوله في كتابه دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة فقد تحدث عن البيان مصرحا فقال :« إنك لا ترى علما هو أرسخ أصلا أسبق رفعا وأحلى جني و أعذب وردا و أكرم نتاجا و أنور سراجا من علم البيان»[2].

ويعرفه أبو الحسن الرماني « هو الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك»[3]

وجملة القول أن معنى البيان في الاصطلاح استقر عند السكاكي الذي يرى :« بأنه معرفة إيراد المعنى في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لمقتضي المراد منه »[4].«فالبيان هو علم يبحث فيه عن أبواب التشبيه والمجاز والكناية من حيث أنها طرق مختلفة لتأدية المعنى الواحد تارة بطريقة واضحة لا شيء فيها من الخفاء وتارة بطريق فيها خفاء قليل أو أكثير مراعى في ذلك ما يقتضيه المقام، أو ما يتطلبه طرف الكلام

[1] أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ط ، د س ، ص42.

[2] لطالب محمد الزوبعي و ناصر حلاوي ، البلاغة العربية البيان والبديع ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1، 1996، ص20.

[3] عائشة حسين فريد ، البيان في ضوء الأساليب العربية ، ص15.

[4] على عبد الرزاق ، علم البيان وتاريخه ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1،1420هـ-2004م،ص58.

فخطاب الذكي يناسبه من الاعتبار وخفاء المجاز أو الكناية أو دقته التشبه وتفصيله ما لا يناسبه خطاب الغبي من الوضوح و الظهور»[1].«فائدة علم البيان هي الاحتراز عن التعقيد المعنوي بشتى صوره أو فهم ما في الكلام العربي من المجاز والكناية والتشبيه للوقوف على أسرار بلاغته وللقدرة على الإتيان بما يشابهها في الأسلوب»[2].

[1] المصدر السابق ، ص59.

[2] المصدر نفسه ، ص19.

المطلب الثاني: خصائص البيان

لا ريب أن البيان العربي له مميزاته وسماته وخصائصه التي سار علي دربها الشعراء والأدباء ونزل بها القرآن ونطق بها النبي صلى الله عليه وسلم ولذا نجد هذه الخصائص ماثلا في كل كلام عربي فصيح ، وقد لخص هذه الخصائص رحمان غركان في كتابه نظرية البيان العربي فقال « وإن من خصائص فن البيان ، الاستغراق في إبداع المعنى ، والإجادة في استحضار صورته ، وإحاطته بالمضمون روحا وبالقصد جسدا ، واشتماله على ما يشعر المتلقي معه بنبض الحياة فيه ، لأن فن البيان بما هو نص إبداعي، أو إنما هو فن التعبير عن المعنى ، وهو ما يستدعي أن يكون وعي المتكلم بالبيان لفظا ، وحسه مرهفا وذائقته مستعدة لاستقبال الأشياء ، وإجراء تصويرها ببراعة ، وإن من خصائصه التأسيس للأسلوب في الأداء ونمط في التصوير ، ويصدر عن تجربة المبين في التعبير ولا يقلد فيها روحا سبقت من كلام الآخرين ، لأن الفعل يتضمن بصمات الفاعل التي تميزه ، والكلام البياني المعبر عنه إنما يتضمن بصمات روحه ، وهي تتمثل الأشياء وتعبر عنها ، ومن ثمة فإن فن البيان متطور متجددا فعلا في السلوك ، وكلاماً في التعبير ومعاني التصوير،وطرائف في الرؤية »[1] .

ومن هذه المقولة الموجزة التي فصلها بعد ذلك في كتابه نلخص إلى أن هذه الخصائص هي :

1- الاستغراق في إبداع المعنى

2- الإجادة في استحضار صورة المعنى

3- الإحاطة بالمضمون روحا وبالمقصد جسدا

4- شموله على ما يشعر المتلقي معه بنبض الحياة فيه.

1)- الاستغراق في إبداع المعنى:

إن الهدف من الكلام هو تبليغ المعني المراد توصيله للمخاطب بألفاظ دالة على ما يريد المتكلم التعبير عنه، لذا كان من خصائص البيان العربي التركيز على إنتاج هذا المعنى والاستغراق في إبداعه

[1] عبد رحمان غركان ، نظرية البيان العربي (خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي تنظير وتطبيق) ، دار الراني مطبعة دار الخير ، الطبعة الأولى ، دمشق ، 2008، ص21.

وتشكيله بطرق مبتكرة حتى يستوفيه فيشمله جميعا ولا يخرج عنه شيء ، وذلك قصد توصيله إلى للمتلقي في أجمل و أفضل حلة ، ويكون هذا الإبداع بابتكار تركيب جديد تتمثل فيه صورة المعنى الجديد غير المتواضع عليه بطرق الألفاظ المتداولة ، لذا كان مضمون علم البيان البحث في كيفيات تأدية المعنى الواحد بطرق تختلف في وضوح دلالتها ، وتختلف في صورها و أشكالها وما تتصف به من أبداع وجمال.

فقد يأتي المتكلم الذي يملك زمام البيان بالكلمة الواحدة والكلمات المختصرة فتتولد منها معان متعددة يطول شرحها وبيانها ، وهذا من حسن إبداعه ، وإذا أراد المتكلم العادي التعبير عن المعاني التي أرادها صاحب البيان لم يصل إلى بغيته إلا بلفظ أطول وأقل دلالة ، وبالتإلى يظهر الفارق بين المبدع وغير المبدع مع اشتراكهم في الألفاظ و المعاني ، لكن الفارق يكمن في الإبداع ، وهذا هو جوهر البيان حيث يشعر فيه المتكلم بلذة الإبداع والابتكار وإيجاد ما لم يسبق إله ، وهي نزعة موجودة في طبائع الإنسان الفطرية ، تنمو عند الأذكياء والعباقرة وتضمر عند غيرهم .

فالبيان العربي يفرض على صاحبه أن ينتقي من الألفاظ جوامعها وأغناها بالدلالة ، ويختار من أدوات التعبير ما يعطيك من المعنى ما هو دائم ومتجدد ومتدفق ، بحيث يسع وجهات النظر المختلفة ، ويبلغ المقصود بأفضل تركيب و بأحسن صوره و في إبداع جميل متألق ، فكلما ظننت انك قد أحطت بمعناه ووقفت عليه وجدته يمدك بمعان متجددة غير ذلك الذي سبق إلى فهمك أول مرة وكذلك حتى تري للفظة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوها عدة من المعاني كلها صحيحة أو محتمل لصحه ، وكأن ما هي قص من الماس يعطيك كل ضلع فهي شعاعا ، فإذا نظرت إلى أضلاعه جمله بهرتك بألوان الطيف كلها فلا تدري ما تأخذ عينك وماذا تدع منه وهذا حسن الإبداع يتميز به البيان في تولد المعاني من تراكيب الكلام ومن ألفاظه.

ومن المعلوم أن اللغة العربية ثرية في الدلالة على المعاني الفكرية و المشاعر النفسية و العواطف و الأحاسيس ومع ذلك فإن وضع كل كلمة أو عبارة في اللغة لتدل على معنى من المعاني ، ومهما اتسعت فإنها لا تكفي للدلالة على المعاني التي تدركها الأذهان ، والدلالة على المشاعر التي تحس بها

النفوس ويريد التعبير عنها ، لأن « الذاكرة الإنسانية مهما عظمت قدرتها على استيعاب المفردات اللغوية مقرونة بدلالتها على المعاني التي وضعت لها ، ومهما عظمت قدرتها على استدعاء ما تحتاج من هذه المفردات عند الحاجة إليها ، لدلاله بها على ما تريد التعبير عنه من المعاني ، لا تستطيع أن تستوعب وتحفظ كل مفردات اللغة ، و لا تستطيع أن تستذكر دوما كل ما تحتاج إله من المفردات والتعبيرات اللغوية لتقدمها إلى أداة التعبير باللسان أو بالقلم عند الحاجة »[1].

ومن هنا يحتاج الإنسان لسلك طرق أخرى في توليد المعاني و إبداعها و الاستغراق في ذلك من غير طريق الأوضاع اللغوية التي وضعت بها المفردات و العبارات لتدل دلاله مباشرة عليها ، فهو يحتال للتعبير عما يريد التعبير عنه من خلال ما تسعفه به ذاكرته من مفردات وعبارات بواحد فأكثر من الطرق التالية بطرق عدة منها :

الطريق الأول : طريق التشبه و التمثيل ، واستخدام النظير بديل على نظيره.

الطريق الثاني : طريق اللوازم الفكرية التي تدركها الأذهان لدى إدراك أشياء تستدعيها باللزوم الذهني فيذكر الألفاظ الدالة على هذه الأشياء مشيرا بها إلى لوازمها الذهنية كطول الثوب الذي يستدعي باللزوم الذهني طول لابسه وكرؤية النجوم رؤية واضحة التي تستدعي باللزوم الذهني كون هذه الرؤية حاصلة في الليل ، وهذا ما يسمي بالكناية.

الطريق الثالث :طريق ذكر الأشياء ينبه ذكرها على أشباهها ، أو أضدادها ، أو ما يخالفها ، فيكون ذكرها مشيرا بتعريض إلى تلك الأشباه أو الأضداد أو المخالفات ، وهذا ما يسمي بالتعريض.
الطريق الرابع : طريق استخدام لفظ مكان لفظ آخر صالح لأن يدل على معناه لعلاقة بينهما، وهذا ما يسمي بالمجاز.

وفتحت هذه الحيلة التعبيرية أفاق واسعة جدا لانتقاء صوره جمالية لا تحصى ، يتحقق بها الغرضان المهمان من أغراض الكلام وهما :

[1] عبد الرحمان بن حسن حبنكه الميداني الدمشقي المتوفى 1425هـ ، البلاغة العربية ، دار القلم ، دمشق ن الدار الشامية ، بيروت ، ط1 ، 1416هـ - 1992م ، 123/2.

الغرض الأول : إفهام المتلقي ما يريد المتكلم التعبير عنه.

الغرض الثاني :إمتاعه بصور جمالية يشتمل عليها الكلام ، ولهذا الإمتاع تأثير في النفوس ، وقد يكون وسيلة لقبول المضمون الفكري الذي دل عليه الكلام ولاعتقاده ، وللعمل بمقتضاه»[1](وأصحاب الذوق البياني الرفيع يحسنون استخدام الفنون البلاغية التي يذكرها علماء البلاغة ، وفنونا أخرى يبتكرونها، فالفنون البيانية لا تحصر ، والفكر الإنساني مؤهل لأن يبتكر فيها بدائع وروائع جديدة تهديه إلى خصائص الإبداع الفني التي وهبها الله للإنسان)[2].

2)– الإجادة في استحضار صورة المعني:

والخاصية الثانية للبيان بعد إبداع المعنى هي الإتقان في إبراز واستحضار دقائق الصورة التي رسمت للمعنى أثناء الكلام ، مادية كانت أو غير مادية ، بأي طريقة من الطرق التي ذكرناها آنفا مع استيفاء العناصر اللازمة لإبراز الحقيقة بشكل جميل وواضح،من غير تكلف ولا تعسف.

فقوة التأثر التي تحصل للمخاطب حين يحس بالارتياح للكلام ويرى من استرسال المتكلم في عرض الأفكار بطريقة تتداعى فيها الصورة حيث يجلي بعضها بعض ، ويمسك بعضها بأعناق بعض، لأنه يقدم صورة جمالية جديدة للمعنى الذي يريد توصيله للمخاطب ، فتكون المفاجأة بذلك جد مؤثرة.

وعليه فالبراعة بعد رسم وإبداع الصورة تكمن في إبراز وتصوير واستظهار وبيان ذلك المعنى النابع من الأحاسيس والمشاعر النفسية والأفكار ، وقد تكون هذه البراعة بتقديم الفكرة من خلال نظير حسي أو بالمبالغة في تصويرها ، أو تصوير آثارها ، أو غير ذلك ، وبالتالي حين تكون مجسمة في صورته ا مبتكرة ، فان الكلام يكون حينئذ أرفع أدبا،وأعلى كليا ، وأوقع في النفس.

[1] المرجع السابق ، ص224/2.

[2] المرجع نفسه ، ج71/1.

(إن التصوير الفني الذي يبرز في الكلام صوره الواقع المتحدث عنه ، حتى كأنه مشاهد ملموس بحركته وحياته ورونقه وجماله هو من أرفع الأدب وأجمله ، وكم من واقع هو أجمل و أكمل من الخيال).[1]

فالمطلوب عند استحضار صورة المعنى أن يتجلى بوضوح تناسق الأفكار وترابطها بوشائجها المنطقية دون إعنات الفكر ، ثم تكاملها بتصوير فني يبرز فيها الحركة والحياة والمشاعر ، ويعبر عن مختلف أبعادها ، ولا يقتصر على التصوير الجامد للأشكال والرسوم الظاهرة فيها التي قد لا تفي بالمعني المراد وهذا من الأسباب الجوهرية في ارتقاء المستوى البياني للكلام الذي يكون فيه لدى المتكلم من القدرة علي هذه الإجادة في استحضار صورة المعنى «كالقدرة على تصيد الأشباه والنظائر واستخدام بعضها لبعض في الأمثال والتشبيهات والاستعارات، وأنواع المجاز التي يكنى بها الأدب عن مراده ، وكالقدرة على معرفة الروابط بين الأفكار والانتقال فيها بين اللوازم والملزومات ، والأجزاء والكل الذي يجمعها ، والخاص والعام ، والمتناقضات والأضداد ، وغير ذلك من المعاني ذات الترابط فيما بينها في الواقع أو في الفكر ، فهي تتخاطر معا ولو كانت متناقضات وأضداد ، ويستدعي بعضها بعضا ، ولا بد مع ذلك من تواتر الذوق الفني والحس الجمالي الرفيع الوضع هذه الأشياء في مواضعها بحسب مقتضي حال المخاطب.

مثلا : اعتاد الأدباء والشعراء أن يشبهوا الجواد بالبحر ،لأن البحر ماؤه كثير ، وعطاؤه وفير فهو لا يمنع آخذا منه ، لكن إشراقات الذكاء مكنت الشاعر من أن يعطى هذا التشبيه المتداول زينه جديدة محببة يتقسم البحر إلى لجة وساحل ، فقال في ممدوحه :

هو البحر من أي النواحي أتيته***فلجته المعروف والجواد ساحله . »[2]

وهكذا أبدع الشاعر في رسم هذه الصورة لممدوحه على خلاف ما هو متعارف عليه بين الأدباء والشعراء ، ثم أجاد في استحضارها من غير تكلف في قالب من الشعر رفيع.

[1] حسن حبنكه الميداني ، البلاغة العربية ،ص71/1.

[2] المرجع نفسه ، ج1/ص52.

3)– الإحاطة بالمضمون روحا و بالمقصود جسدا:

من خصائص هذا البيان –كذلك وهو– الإحاطة بالمضمون و المقصد ، لأن المضمون بمثابة الروح للنص أو الكلام ، أما المقصد فهو بمثابة الجسد له ، ولا يمكن فصل الروح عن الجسد ، فكذلكم هنا في البيان لا يمكن فصل المضمون عن المقصود ، حيث لا يوجد في خاصية البيان المعنى من غير قصد من وراءه.

ولكي لا نضيع المضمون ولا نخسر المقصود فإن البيان يتطلب منا في الكلام أن تنظم مفرداته على وفق نسق متلائم لا تناثر فيه ولا تشاكس كتنظيم حبات عقد اللؤلؤ من قبل منظم ماهر ، وكتنظيم الجواهر على حلية نفسية ، من قبل صانع بارع ، مع العناية بالتزام أصول دلالات التراكيب التي نبه عليها علماء المعاني والبيان.

ويكون ذلك بانتقاء المفردات الجميلة التي تحمل أقوى وأحلي وأدق دلالة على المعنى المراد مع توافر عنصر الملائمة بينها وبين مضمون الكلام بوجه عام ، وحال المخاطبين به كي يبلغ مقصود المتكلم لهم من خلال ذلك المضمون الذي يحمله الكلام.

فالبليغ حقاً هو الذي يحسن الملائمة بين أسلوبه البياني وبين الهدف الذي يقصده والموضوع الذي يتحدث فيه ، ووضع المخاطب الذي يوجه له كلامه ، وحاله التي هو عليها ، وسائر الأمور التي يمكن أن يلائمها أسلوب من كلام ولا يلائمها أسلوب آخر ، لأن المتكلم لا يريد مضمونا فحسب ولا يمكن في ذات الوقت أن يبلغ المقصود من غير مضمون يحمله كلامه ، فهذا من التلازم الذي لا بد منه ولا مناص منه. ولكي تتضح الصورة جلية في ما قلنا فإننا مثلا حين نضرب حكمة ما ، فإننا في الأصل لا نريد الحكمة في ذاتها بل متأكدون في ذلك الحكمة تحمل مضمونا ما نريد أن نصل به لمقصد آخر غير الحكمة المضروبة أثناء الحديث في كلامنا، فمضمون الحكمة هو روح كلامنا والمقصد هو الجسد له .

وهكذا تعبيرنا حين يبني صورة بيانية لمعنى ما فإننا من ورائها شيئا آخر، فإذا حضر المقصد الذي نريده ووصل إلى المخاطب عن طريق ذلك المضمون الذي تحمله الصورة البيانية فحينها يتجه النظر

للمقصد ويصبح هو المستهدف وهو محط النظر من قبل المخاطب وتغيب الصورة حينها لتحل محلها الصورة الحقيقة المقصودة.

ومثال آخر كأن نضرب مثلاً لشيء ما ، فإن البناء على المثل والحكم عليه كأنه عين الممثل له على اعتبار أن المثل قد كان وسيلة في لإحضار صورة الممثل له في ذهن المخاطب ونفسه ، وإذا أحضرت صورة الممثل به ولو تقديرا، فالبيان البليغ يستدعي تجاوز المثل ، ومتابعة الكلام عند الممثل له ، وتسقط صورة المثل لتبرزه القضايا المقصودة .

ففي بعض الأحيان لا يحمل الكلام مضموناً كافيا ليصل به صاحبه للمقصود ، وفي بعض الأحيان يكون المضمون قويا لكن صاحبه لا يريد منه مقصداً معيناً ، ومن خصائص البيان انه مجمع بين المضمون والمقصود ، إذ لا يكفي إيراد الكلام وفق صورة من صور البلاغية التي يذكرها علماء البلاغة ، بل لا بد من ملاحظة مقصد بياني تؤديه هذه الصورة المختارة ، إن نسبة الخاصية البيانية في الإحاطة بالمضمون و المقصود ترتقي حينما ندرك أن المتكلم قد اختار الصورة البيانية التي أوردها في كلامه لمقصد زائد على مجرد اختيار صورة جمالية بلاغية يذكرها علماء البلاغة.

وخذ لك مثلا آخر حتى تتضح صورة الإحاطة بالمضمون والمقصد:« إن التعبير الساذج عن عدم العدل في مجال الحب الذي يعاتب به الإنسان العادي أميرا ذا مكانة ، أن يقول له :

يا سيدي إني احبك مع المحبين ولكنك لا تعامل حبي بالعدل كما تعامل الآخرين ، لكن المتنبي بذكائه تجاوز هذه المشاعر الساذجة ، فأدرك أن سيف الدولة أعدل الناس ، وأدرك انه هو الحكم لو شاء أن يشكوه إلى حكم ، ثم رجع فأدرك أنه هو الخصم ، ثم أستدرك ليكشف أن الخصومة على حبه وما يقتضيه هذا الحب ، كل هذه الأفكار والمشاعر قد اجتمعت وتراكبت ! و تدخل الذكاء فأحاط بها معا ، وتدخلت القدرة البيانية على التعبير عنها مجتمعة بطريقة تفهم بلا تعقيد ولا كد للذهن ، فقال المتنبي لسيف الدولة :

يا أعدل الناس إلا في معاملتي *** فيك الخصام وأنت الخصم والحكم»[1].

[1] المرجع السابق ، ص58.

إن الصور البيانية مهما كانت جميلة في ذاتها تغدو كجسد بلا روح إذا كانت خالية من مقصد بياني تهدف إليه في البيان ، باستثناء عناصر الجمال اللفظي أو الموسيقي ، والزينات التي لا تحتمل أداء مقصد بياني.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى « فسالت أودية بقدرها»إن الصورة البيانية في النص تتخلص بإسناد السيلان إلى الوادي ، مع أن المراد سيلان الماء فيه ، فهذا هو المضمون ، فهل انتهينا من البحث ؟ نقول لا لم نشه بعد لأننا نبحث عن المقصود وراء هذا المضمون الذي فهمناه من هذه الصورة ، كأننا نريد أن نتساءل لماذا أسند السيلان إلى الوادي بدل إسناده إلى الماء ؟ وما الداعي إلى ذلك وما هو المقصود منه ؟.

وبالتأمل نجد الجواب عن التساؤل ، إذ أن المقصد البياني من هذا الإسناد هو إعطاء السامع أو القارئ صورة تشعر على سبيل التخيل بأن الوادي يسيل فعلا لكثرة تدفق الماء و ارتفاع نسبته في جانبي الوادي

4)– شموله على ما يشعر المتلقي معه بنبض الحياة فيه :

والخاصية الرابعة من خصائص البيان هي شموله على ما يشعر المتلقي معه بنبض الحياة فيه ، فالناس تعجبهم وتحلوا لديهم المعاني الجديدة المبتكرة ، التي ترسم في صور بيانية دقيقة ومتدفقة بالمعاني فيتفاعلون معها ويتقمصونها كلما كان معناها قويا ومضمونها مجسداً ومقصدها هادفاً ، وتحمل من الدلالات ما تلامس به قلب المتلقي وفكره وعقله وتدغدغ مشاعره وأحاسيسه ووجدانه.

لأن من الطبيعة البشرية أن الناس تعجبهم وترضيهم وتحلو لديهم الصور البيانية المسبوكة التي تحمل داخلها أفضل المعاني التي تحرك لديهم المشاعر الوجدانية والنفسية الحلوة ، أو تذكرهم بها وخاصة إذا كان المتكلم منفعلا حقا في عمق وجدانه ونفسه ، بالمشاعر التي يريد التعبير عنها ، ويحرص على تحريكها في أعماق سامعية أو قارئيه. فيكون له ذلك كلما كان إحساسه بها أعمق و أوضح، والقدرة البيانية في التعبير عن هذه المشاعر أكمل و أوفي ،حينها يكون تأثيره في سامعيه أكبر و أقوى، وأكثر نفاذا إلى أعماقهم ، وأكثر تحريكاً لمشاعرهم، لأن من أدوات التأثير في السامع أو

القارئ أن يرسم مضمون التعبير ومقصوده في نفس المتكلم أولاً، ويحس به قبل أن يحس به المتلقي ويتفاعل معه ، ثم ثانيا يكون في كلامه ما يحمل على تفاعل المتلقي معه وحينها ينبض المتلقي بتلك المشاعر التي تنقله لمكانة المتكلم في التفاعل.

تعبيرات بديعة جميلة جذابة ، تتملك المشاعر ، وتؤثر في القلوب وتتفاوت فيما بينها بما تحظى به من نسب الجمال تفاوتا كبيرً».[1] ومن هذا كله كان البيان يدور حول هذه المعاني المختلفة التي كلها تخدم المعنى وترسمه في صورة بيانية ثم تحيط به وتجعل المتلقي يحس به وينبض قلبه له ويتفاعل معه فكره ووجدانه ، لذا كان فن البيان يهتم بالصورة المختلفة من التشبيه والاستعارة والكناية ...قصد إيصال المعني في قالب جديد يؤثر في المتلقي ويبلغ به إلى المقصود بأيسر الطرق وأجملها.

وسيظهر لنا هذا جليا فيما سنعرضه من صور للمرأة في البين النبوي الذي هو موضوع بحثنا هذا لذا ننتقل الآن للحديث عن خصائص البلاغة النبوية حتى يسنى لنا بعدها عرض تلك الصور.

[1] المرجع السابق ، ج1/ص22.

المطلب الثالث : بلاغة البيان النبوي

كان رسول الله – صلي الله عليه وسلم – رأس الفصاحة ومجمع البلاغة ، مداده القرآن الذي أعجز به الأولين والآخرين، وأداته البيان الناصع في مجتمع عرف بالفصاحة، وتزين بالشعر، وتجمل بالبيان فكان سيد المجتمع أدباً وفضلاً قبل المبعث وفصاحةً وبياناً وإلهاماً بعد نزول الوحي والتكليف بأمانة الدعوة. فقد كان – صلى الله عليه وسلم – أفصح الفصحاء وأبين الأنبياء وكان يعُلن في ذلك في قوله «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش،وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول له: يا رسول الله ما رأينا الذي هو أفصح منك، فكان يجيبه بقول الشريف" أدبني ربي فأحسن تأديبي».[1]

فالبلاغة النبوية في أعلى طبقات البلاغة الإنسانية ، فبلاغة النبي تقع على القنطرة الواصلة بين إعجاز القرآن وبلاغة البلغاء ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد كان محمد – صلى الله عليه وسلم – فصيح اللغة ، فصيح اللسان ، فصيح الأداء كان فصيحاً مبلغاً على أسس ما تكون بلاغة الكرامة والكفاية ، وكان بلسانه وفؤاده من المرسلين ».[2]«فكلام النبي وإن كان نازلاً عن فصاحة القرآن وبلاغته ، فإنه في الطبقة العليا بحيث لا يداينه كلام ولا يقاربه من كلام البشر»[3].

وفي هذا الصدد نجد عمر بن بحر الجاحظ واصفاً كلامه صلى الله عليه وسلم في كتابه البيان والتبيين قائلاً هو الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعه ونزه عن التكلف وكان كما قال الله تعالى قل يا محمدِ ﴿**وَمَا أَنا مِنَ الـمُتَكَلِفِين**﴾[4].

فكيف وقد عاب التشديق وجاب أهل التقعير و أستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة ، وشيّد بالتأييد ويسّر بالتوفيق.

1مصطفي الشكعة ، البيان المحمدي ، دار النشر المصرية اللبنانية ، د ط ، ص07.

2 مروة إبراهيم شعبان قوته ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير اللغة العربية ، الأحاديث القدسية (دراسة بلاغية) الجامعة الإسلامية ، غزة ، 1428-2007 ، ص07.

3 محمد عبد الحليم غنيم ، البلاغة النبوية دراسة تطبقيه ، ص03.

4سورة ص ، الأية86.

«وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ، وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ، ومع استغائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقل له خصم ولا أقحمه خطيب بل يعبر الطوال الطِوال بالكلم القصار ، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج إلا بالحق ، ولا يستعين بالخلابه ولا يستعمل المواربة ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطئ ولا يعجل ولا يسهب و لا يحصر ، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أصدق لفظاً، ولا أعمل وزناً ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين عن فحواه من كلامه – صلى الله عليه وسلم–».[1]

«وكذلك أم معبد صاحبة الحديث الطويل المشهور في وصف رسول الله – صلى الله عليه وسلم– تصف كلامه فتقول حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نُظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة »[2] .

أما أبو الحسن الماوردي فكان يصف فصاحته بحسانها واحدة من خصاله فيقول:« كان من خصال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه أفصح الناس لساناً و أوضحهم بياناً و أوجزهم كلاماً وأجزلهم ألفاظاً وأصحهم معاني ، لا يظهر فيه هجنه التكلف ولا يتخلله فَيْهَقَةُ التعسف فكان يقول " أبغضكم إلى الثرثارون المتفيقهون" وكان – صلى الله عليه وسلم – يقول أيضا " إياك والتشدق"».

ويضيف القاضي عياض لوناً من فصاحة لسانه وبلاغة قوله فضلا عن نصاعة اللفظ وبراعة المنزع في قوله:« وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول ، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) من ذلك بالمحل الأفضل و الموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع ، وبراعة منزع ، و إيجاز مقطع ، ونصاعة لفظ وجزالة قول ، وصحة معاني ، وقلة تكلف ، أوتي جوامع الكلم ، وخص ببدائع الحكم ، وعلّم ألسنه العرب،

[1] مصطفي صادق الرافعي (1880-1937) ، تح: أبي عبد الرحمان البحيري وائل بن حافظ بن خلف ، السمو الروحي الأعظم والجمال الفني والبلاغة النبوية ، دار النشر لثقافة و العلوم ، د ط ، د س ، ص13-14.

[2] مصطفي الشكعة ، البيان المحمدي ، ص56.

فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ، ويحاورها بلغتها ، ويباريها في منزع بلاغتها ، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله...

وفي رواية لعائشة رضي اللهٍ عنها تصف منطقه وكلامه – عليه الصلاة والسلام –بقولها : «ما كان رسول الله يسرد كسردكم هذا ، ولكن كان يتكلم بكلام بيّن فصل يحفظه من جلس إليه». وفي حديث آخر تقول :« كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يحدث حديثا لوعده العاد لأحصاه»[1].« فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يكره الإطالة ، والاندفاع في الكلام، وقد تكلم عنده رجل فأطال فقال له البني كم دون لسانك من حجاب ؟ فقال شفتاي وأسناني ، فقال إن الله يكره الانبعاق ... ، ».[2] الانبعاق هو الاندفاع في الكلام .

«وإذا نظرت فيما صح نقله من كلام النبي صلى الله عليه وسلم على جهة الصناعتين اللغوية والبيانية ، رأيته في الأولى مسدد اللفظ محكم الوضع جزل التركيب متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات ، فخم الجملة واضح الصلة بين اللفظ ومعناه واللفظ وضربية في التأليف والنسق ثم لا ترى فيه حرفاً مضطربا، ولا لفظه مستدعاة لمعناها ، أو مستكرهة عليه ، ولا كلمة غيرها أتم منها أداءً للمعنى وتأتيا لسره في الاستعمال ، ورأيته في الثانية حسن المعرض بين الجملة ، واضح التفضيل ، ظاهر الحدود جيد الرصف ، متمكن المعنى واسع الحيلة في تصريفه ، بديع الإشارة ، غريب اللمحة ناصع البيان ، ثم لا ترى فيه إحالة و لا استكراهاً ، و لا ترى اضطرابا ولا خطلا، ولا استعانة من عجز و لا توسعا من ضيق ، و لا ضعفاَ في وجه من الوجوه[3]. ويلخص مصطفى صادق الرافعي نسق البلاغة النبوية في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية في ثلاثة نقاط :

1– الخلوص : ويكون في اللغة وفي الأسلوب وهو منفرد فيها جميعا ، لأن لم يكن ولن يكون فيمن بعدهم أبد الدهر من يتقن في اللغة وأسرارها وضعا و تركيب ، ويستبعد اللفظ الحرّ ، ويحيط

[1] عبد الفتاح لاشيني (أُستاذ مشارك بجامعة الإمام محمد بن مسعود) ، من بلاغة الحديث الشريف ، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 1402هـ-1982م ، ص16.

[2] سماعيل نواهضة ، بلاغة النبي ، فلسطين ، مجلة الإسراء ، عدد 6 ، 1147 هـ ، ص11.

[3] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،دار الكتاب العربي،ط1393،9هـ،1973م،ص324-325.

بالعتيق من الكلام ، ويبلغ من ذلك إلى الصميم على ما كان من نشأته صلى الله عليه وسلم ، ولا يتهيأ له الأسلوب العصبي الجامع المجتمع على توثيق السرد وكمال الملاءمة كما تراه في الكلام النبوي.

2 – القصد و الإيجاز و الاقتصار :على ما هو من طبيعة المعنى في ألفاظه ومن طبيعة الألفاظ في معانيها ، ومن طبيعة النفس في حظها من الكلام وجهته اللفظية و المعنوية فذلك ما امتازت به البلاغة النبوية.

3– الاستيفاء :« وهو الذي يخرج به الكلام ، على حذف فضوله و إحكامه و وجازته ، مبسوط المعنى بأجزائه ليس فيها خداج و لا إحالة ولا اضطراب»[1].

ويلخص العقاد بلاغة النبي في[2] :

1– خلو الكلام من الكلفة والغموض والإغراب.

2 – خلو كلام النبي من الحشو والتكرار والزيادة.

3 – اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار .

وبعد الحديث الطويل عن بلاغته (صلى الله عليه وسلم) ننتقل الآن إلى عرض خصائصه البلاغية بشيء من الشرح والتفصيل مع بعض الأمثلة :

أ– **الإيجاز** :

تعتبر هذه الخصية من ابرز خصائص البيان النبوي ، وقد أشار إليها –صلى الله عليه وسلم – بقوله « أوتيت جوامع الكلم» ، «وجوامع الكلم كما قال النووي نقلا عن الهروي القرآن جمع الله تعالى في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة : وكلامه – صلى الله عليه وسلم– كاف بالجوامع، قليل اللفظ كثير المعنى»[3].

[1] المصدر السابق ، ص ص338 -339.

[2] مروة إبراهيم شعبان قوته ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير الأحاديث القدسية ، ص 11.

[3] محمد أبو العلا أبو العلا الحمزاوي، الخصائص البلاغية للبيان النبوي ، مكتبة الرشد ، د ط ، 1428- 2007 ، ص65.

ويقول بدوي طبانة في مفهومه للإيجاز:«هو إن معنى الإيجاز في اصطلاح علماء البيان هو اندراج المعاني المتكاثرة تحت لفظ القليل، واصدق مثال فيه قوله تعالى ﴿**فأصدع بما تؤمر**﴾ فهاتان الكلمتان قد جمعتا معاني الرسالة كلها واشتملت على كليات النبوة وأجزائها »[1].

ومن الإيجاز قوله –صلى الله عليه وسلم– عندما رأى امرأة تبكي عند قبر فقال : « اتق الله و اصبري قالت : إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه ، فقيل لها انه النبي – صلى الله عليه وسلم – فأتت باب النبي –صلى الله عليه وسلم – فلم تجد عنده بوابين ، فقالت: لم أعرفك ، فقال :"إنما الصبر عند الصدمة الأولى"»[2] ،« وما أروع عبارته الأخيرة– صلى الله عليه وسلم –المتآلفة من خمس حروف ولكنها حوت الكثير من المعاني فالنبي–صلى الله عليه وسلم – بهذه العبارة الموجزة يريد أن يقول لهذه المرأة الثكلى التي فقدت صبيها وآلمها المصاب،و اجز عنها الفجيعة إن الصبر الحقيقي عند شدة المصيبة وقوتها، وان صاحبه يحمد ويثاب عليه في هذه اللحظة »[3].

ب **– البعد عن التكلف:**

نفى الله عز و جل عن رسوله – صلى الله عليه وسلم – التكلف حين قال على لسانه:﴿قل ما أسألكم عليه من أجر و ما أنا من المتكلفين﴾[4] ، لأن التكلف في كل أمر يحبط تأثيره ويلقى على صاحبه ظلالا من الكراهية و الاستثقال وما هو به لأن الروح التي يصدر عنها لا تظهر صافية مطبوعة ، بل تعاني من إصدار التكلف و التصنع ما يكاد يعصف بما لديها من السداد والإصابة[5].

«فقد كان أسلوبه–صلى الله عليه وسلم – بعيدا عن التكلف والتصنع ، يفيض عن الفطرة السليمة الصافية والنفس المجتمعة الهادئة والعبقرية الفذة المتآلفة»[6].

---

[1] مصطفي الشكعة ، البيان المحمدي ، ص 715.

[2] صحيح البخاري ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ص 281.

[3] المرجع السابق ، ص 69.

[4] سورة ص ، الآية 86- 87.

[5] محمد أبو العلاء أبو العلاء الحمزاوي ، الخصائص البلاغية للبيان النبوي ، ص 83.

[6] محمد صباغ ، الحديث النبوي الشريف " مصطلحه – بلاغته – كتبه " ، المكتب الإسلامي ، ط 4 ، 1981 ، ص 62.

«ولذلك كان يتكلم بكلام بين فصل لو عده ألعاد لأحصاه حرصا منه – صلى الله عليه وسلم – على أداء أمانة التبليغ ، ورعاية مقتضى حال المخاطبين فاتسم تعبيره بالوضوح و الإشراق و البيان والسداد »[1].

كل هذا ساعده عليه الصلاة والسلام على أن يتصرف في اللغة كما يشاء دون أي زخرف مستكره أو سجع كسجع الكهان حيث كرّه – صلى الله عليه وسلم – سجع الكهان و أنكر على من حاول استعماله من صحبه ، فقال لمن حاول تقليد الكهان : " أسجعنا كسجع الكهان..." ذلك أنه أداة للباطل ، وعده التدجيل ، و إسفاف في الكلام ، غير انه –صلى الله عليه وسلم – لم يكره السجع على الإطلاق بدليل ما جاء منه في أحاديثه –صلى الله عليه وسلم – فكان آية في الجودة والسحر والحلال»[2] .

من ذلك ما أثر عنه –صلى الله عليه وسلم – في قوله : « اتقوا الله ، وصلوا خمسكم وصوموا شهركم ،و أدوا زكاة أموالكم ، و أطيعوا أمراءكم ، تدخلوا جنة ربكم » وهنا نلمح أن السجع جاء مناسباً للمقام لأنه بصدد بيان بعض أصول الإسلام ، ويحتاج إلى ترسيخها في الأذهان وبهذه الموسيقى اللفظية في العبارات يتسنى تثبيت المعاني المذكورة في النفوس حتى يتمكن من فهمها والعمل بها.[3] وكذلك قوله : «بادروا بالأعمال سبعاً : هل تنتظرون إلا فقراً منسياً ، أو غنى مطغيا، أو مرضاً مفسداً ، أو هرماً مفنداً ، أو موتاً مجهزاً ، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر» [(4)].

فبرغم من قصر الفقرات تنوعها مع اختلاف معانيها ، وعذوبة ألفاظها . وقافية السجع فيها مرتبطة بالمعنى تمام الارتباط وهي هنا تصور عقله الناس عن هذه الأمور مع قربها منهم .

---

[1] المرجع السابق ، ص 83.

[2] محمد الصباغ : الحديث النبوي ، ص 70.

[3] محمد أبو العلاء أبو العلاء الحمزاوي ، الخصائص البلاغية للبيان النبوي ، ص 91.

[4] صحيح البخاري ، ج1 / ص 443.

ج– التصوير وضرب المثل:

تظهر في أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – خاصية أخري ألا و هي التصوير الرائع الذي يدل على سره في الإبداع و الجمال بحيث يعجز أي بشر عن الإتيان بمثله .

وتكمن أهميته في التعليم والتوضيح و التوجيه ، وفي تصوير الأمور العقلية في صورة حسية وهذا مما يساعد على ترسيخ المعاني وتثبيتها في النفوس . يقول الزمخشري عن أهمية ضرب الأمثال : «ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالنفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المتحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن. والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الألد . وقمع لسورة الجامع الأبي، ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين و في سائر كتب أمثاله، مثل عنها المولى عز وجل : ﴿وتلك الأمثال نضربها لناس وما يعقلها إلا العالمون﴾[1] »[2].

ويعد التشبه طريقة من الطرائق المتعددة في التصوير الموفق في الحديث فهو الذي يقرب الأمر ويوضح الموضوع والشواهد على ذلك كثيرة منها ما قاله –صلى الله عليه وسلم – في الواقع الذي يعيشه الناس في كل زمان ومكان وهو قلة الصالحين الصادقين الذين « يعاونون إخوانهم على البر حيث يقول " إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة " ، جاء التشبيه بالإبل المائة ليبين هذه الحقيقة بصورة عن الواقع و البيئة ، فالإبل منها ما هو راحلة صالحة للركوب مدللة في السفر وسهلة القياد ، وهذه الراحلة مما يقال في الإبل بهذه المواصفات وكذلك المخلصون الأوفياء اللينون المتعاونون إخوانهم على البرّ والتقوى ، الصادقون في مودتهم قليلون »[3].

وكذلك التصوير عن طريق الاستعارة الرائعة وذلك في قوله : «إن آل ابن فلان ليسوا لي بأولياء إنما ولي الله وصالح المؤمنين ولكن لهم رحم أبلها ببلالها»[4] ، جاء التصوير هنا في هذا الحديث لصلة

---

[1] سورة العنكبوت ، الآية 43.

[2] محمد أبو العلاء الحمزاوي : الخصائص البلاغية للبيان النبوي ، ص 113.

[3] المرجع نفسه ، ص 131.

[4] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، ج 4 ، ص 64.

الأرحام و ما أعظم صلة الأرحام لما لها من أثر من تأليف القلوب ونشر الود والحب بين الناس فعبر عن هذه الصلة باستعارة رائعة في قوله " ولكن لهم رحم إبلها ببلالها " فالبلال بمعنى البلل وهو النداوة و النداوة من شأنها تجميع ما يحصل فيها وتأليفه بخلاف إلبس والقطعية فمن شأنها التفريق فنحن إذا نظرنا إلى الأرض في حال يبسها وجفافها وجذبها نرى ظهور الشقوق ولكن حين تبل الأرض بالماء خف بلالها تتصل هذه الشقوق والرحم في هذه الحال الصلة تشبه الأرض في هذه الصورة.

أما من لطائف الكنايات النبوية قوله –صلى الله عليه وسلم –:«واعلموا إن الجنة تحت ظلال السيوف».[1]ففي قوله " تحت ظلال السيوف" كناية لطيفة عبر فيها عن كثرة الضراب في سبيل الله والالتحام مع الأعداء في ساحة القتال.

د– دقة الوصف :

«المتأمل في الأحاديث النبوية يجدها تقف على لوحات وصفية نادرة في دقتها واشتمالها على الغرض المراد ، فقد كان عليه الصلاة والسلام لا يتمكن إلا بما هو واقع ، حيث يقول محمد الصباغ في أوصاف الحديث الشريف والملاحظ أن الأوصاف في الحديث جاءت مقتضيه وفق الخاصة الأصلية التي يصدر عنها الحديث في شتى الأغراض وهي خاصة الإيجاز»[2].

معنى هذا الحديث أن النبي –صلى الله عليه وسلم – يستعمل الخيال في وصفه ، لأن الإطالة في الوصف هي التي تستدعي الخيال ، فوجوده في الحديث النبوي أمر غير متوقع إلا عندما يكون الذي مصدرا للتشبيه والتمثيل والتصوير فالوصف النبوي يعتمد التصوير،الذي يعتمده بدوره الخيال إنما يأتي في أعلى درجات الصدق وعلى ذروة سنام البلاغة لأنه متصل بهذه النفس الصافية التي تربعت على قمة السمو الروحي.

فالوصف وسيلة من وسائل التصوير المتعددة، فلقد اعتمد العرب على وسائل كثيرة في التصوير منها ما كان واضحا عندهم تمام الوضوح كالتشبيه، والاستعارة ، والكناية ، وبعضها لم يكن واضحاً

[1] المرجع السابق ، ج 2 ، ص 238.

[2] محمد الصباغ ، الحديث النبوي الشريف ، ص79 – 80.

في نتاجهم الأدبي كالوصف و القصة والتجسيم ، والتشخيص ، والموازنة ، والإشارة والرسم، وهذه الوسائل نراها بوضوح و جلاء في البيان النبوي. والوصف الدقيق النابع من البصيرة النافذة ، وحسن الإدراك والتدفق العاطفي أبلغ من التشبيه أو الاستعارة أو الكناية أو الوسائل المألوفة في التصوير ، إنه ينقل لك أمام عينيك المشهد حتى تكاد تحس به حواسك وتلمسه بيديك.

«وتجلت دقة الوصف في الحديث النبوي بأوصاف متنوعة فقد استخدمه النبي – صلي الله عليه وسلم –لإرشاد الناس وتعليمهم ما يقربهم من ربهم ، ولبيان حقائق الدين ، كما استخدمه لتحذيرهم وتخوفيهم مما يبعدهم عن جنابه و رحمته ، وكذلك وصف الجنة والنار ، ووصف المسلم ووصف الخوارج ...وغيرها »[1].

ومن وصفه الدقيق – صلى الله عليه وسلم– وصف حال أول من يدخلون الجنة و الذين يلونهم ونعيمهم :« أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين على أثرهم كأشد كوكب إضاءة ، قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم و لا تباغض ، لكل امرئ منهم زوجتان : كل واحدا منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن ، يسبحون الله بكرة وعشية ، لا يسقمون و لا يمتخطون ولا يبصقون ، آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك...».

فهو «بهذا الحديث يعرض لنا لوحات وصفية رائعة لمشاهد من عالم الغيب لمنازل المؤمنين وما أعد الله لهم من النعيم في الجنة ».[2]

«ومن خلال تتبعنا للوحاته الوصفية وجدناها تأتي على درجة واحدة في البلاغة لأنها خرجت من مشكاه النبوي فالوصف فيها هو الوصف الذي يقلب السمع بصرا والمعقول محسوساً والمتخيل مشاهداً و يحيط بالموصوف من جهاته المختلفة حتى يحكيه ويمثله للعيان»[3].

[1] محمد أبو العلاء أبو العلاء الحمزاوي ، ص149-152.
[2] المرجع نفسه، ص 156 – 157.
[3] المرجع نفسه ، ص 152.

هـ– الموسيقي النثرية :

«الموسيقى من صفات الجودة في الأسلوب ، وهي أمر مرتبط بالموهبة والأذن المرهفة ، والذوق السليم ... وموسيقى الحديث عذبة تنساب في الكلمة الحديثة كما تتناسب في الكلام النبوي».[1]

وهذه الموسيقى عبارة عن حركة نفسية أو هي ترجمة صوتية عن تجربة للكاتب من شأنها أن تعين اللغة والكلمات على أداء المضمون الروحي للكاتب ، وبعبارة أخري أن تعبر الألفاظ عن المعاني بذواتها ، فإذا نسقت هذه الألفاظ تنسيقاً خاصا اكتسبت من موسيقاها معاني جديدة ، وهذا الذي قصده البلاغيون من ألفاظ العذوبة ، والرقة ، والفخامة ، والطلاوة ، والسماحة ...التي تفصح عن موسيقى الأدب و أثرها في نفوسهم .

ومن أحاديثه التي تجسد هذه الخاصية قوله –صلى الله عليه وسلم – في ركوعه وسجوده الحديث وتناغمه وبين حال هذا الساجد الخاشع القانت لله ».[2]«و أخيرا موسيقى الحديث النبوي ذات ألوان تختلف باختلاف الغرض ففي مجال الوعظ والترهيب نجد القوة و الفخامة ، وفي مجال الدعوة و الترغيب نجد الرقة والليونة وفي الدعاء قبل النوم نجد اللحن الهادي الخفيف ، و في الدعاء عند العرب نجد اللحن الحماسي العتيق وهكذا»[3]

[1] محمد الصباغ : الحديث النبوي الشريف ، ص 90.

[2] المرجع نفسه ، ص99 -101.

[3] المرجع نفسه ، ص 96.

المبحث الثاني

المبحث الثاني : الصورة البيانية للمرأة

- المطلب الأول: صورة القوارير
- المطلب الثاني: صورة الضلع
- المطلب الثالث : صورة الكنز
- المطلب الرابع : صورة المتاع
- المطلب الخامس: صورة ناقصات عقل ودين

تمهيد

لقد جاءت نصوص الإسلام فخلصت المرأة من قيودها، وحفظت إنسانيتها ووجودها وأعادت لها كرامتها ، ثم رفعت شأنها وأدلت مقامها ، بل إن إنصاف الإسلام للمرأة هو عملية بعث وإحياء لها كي تنعم بالحياة وتنتعش روحها ، وتتنفس الهواء الطلق ، وتتمتع بالدفْ والجمال من حولها وتساهم في نشر الدفء والجمال ، وتعانق بأشواقها مواكب الحياة وتعمل مع الرجل في بناء المجتمع وكانت المرأة في الجاهلية مهانة ومستعبده تورث ولا ترث تعيش كالأمة لا رأي لها ولا حقوق ينظر إليها الرجل على أنها مخلوقة لإمتاعه ليس إلا هذا إذا كتبت لها الحياة ، ويجيء الإسلام بعث الله نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – رحمة للعالمين فأخرج الإنسانية الغارقة في أحضان المرأة والبشرية التائهة في ضباب الوثنية فأخذت المرأة أوفى نصيب من الحقوق والمزايا والمنح ونزع عنها ركام الذل والهوان فخرجت لتشارك بجهدها في مسيرة الحياة والإحياء ولذلك فتح لها ديننا الحنيف طريق العلم من أوسع أبوابه فسارت فيه حتى بلغت أرفع الدرجات ولعظمة شأنها صورها النبي – صلى الله عليه وسلم – في أحاديث كثيرة منها ،وبصور مختلفة تعطى حقيقة المرأة والدور المطلوب منها والدور المطلوب نحوها وهذا هو محل دراستنا هنا وهو ما سنتناوله فيما يلي:

المطلب الأول: صورة القوارير

ومن أحاديثه –صلى الله عليه وسلم –التي جسدت صوره من صور المرأة ألا وهي قوارير كما جاءت في صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أتى النبي– صلى الله عليه وسلم– على بعض نسائه ومعهن أم سليم ، فقال : «ويحك يا أنجشه ، رويدك سوقا بالقوارير» قال أبو قلابه : فتكلم النبي – صلى الله عليه وسلم – بكلمة، لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه قوله: «سوقك بالقوارير». وفي رواية :«ويحك يا أنجشه رويدك بالقوارير » وفي رواية :«رويدك يا أنجشه سوقك بالقوارير» وفي رواية أخرى :« أرفق يا أنجشه ويحك بالقوارير». وفي رواية : «رويدك يا أنجشه لا تكسر القوارير » قال أبو قلابه : يعنى النساء: قال قتادة :يعنى ضعفه النساء.

«والمراد من قوله – صلى الله عليه وسلم – قوارير يعود إلى قولين : أحدهما أن أنجشه كان حسن الصوت وكان يحدو بهن ، وينشد شيئا من القريض و الرجز ، وما فيه تشبيب ، فلم يأمن أن يفتنهن ، ويقع في قلوبهن حداؤه ، فأمره بالكف عن ذلك ، وثانيهما الرفق في السير لأن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في المشي و استلذته ، فأزعجت الراكب و أتعبته ، فنهاه عن ذلك لأن النساء يضعفن عند شدة الحركة ويخاف ضررهن وسقوطهن»[1].

ويظهر في هذا الحديث النبوي صورة جميلة وهي كناية ومفهومها الاصطلاحي يكمن في «أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجئ إلي معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به ويجعله دليلا عليه »[2].

وقد سماها بعضهم بالأرداف وجعله من أنواع الكناية،ونوعها كناية عن موصوف [3]. فكنى عنهن بالقوارير لأمور ثلاثة ، أما أولا لما هن عليه من خفض الأجنة ، ثانيا لاختصاصهن بالصفاء والصقالة، والحسن والنضارة ، ثالثا لما فيهن من الرقة والمسارعة إلى التغير والانثلام.

---

[1] محيي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي : صحيح مسلم بشرح النووي ، مكتبة الإيمان ، مصر ، د ط ، د س ، ص 71.

[2] عبد العزيز بن صالح العمار : التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن ، دراسة بلاغية تحليله ، ط 1 ، 2006م – 1427هـ ، ص 97.

[3] محمد عبد الحليم غنيم : البلاغة النبوية ، ص5.

فتصوره – صلى الله عليه وسلم – للمرأة بالقارورة لما بينهما من تشابه فالقوارير شفافة رقيقة تكشف ما بداخلها ، وتحفظه و إن كان مائعا سيالا كما أنها رقيقة ولطيفة ، وأيضا سهلة الانكسار لأي شيء قد يصيبها فهي سريعة التأثر لأي عامل يصيبها ويصعب بعد ذلك جبرها وإن ظهر لنا أننا قادرون على جبرها لكن تبقى الخدوش والخطوط عليها تدل على أنها مجروحة ومكسورة ، كما أن الزجاجة لها غطاء يغطيها لتحفظ فلا يلحقه التلف أو الانكسار أو يخالطه أمر خارجي ، ولذا نجد الناس دوما أي قارورة يحفظونها و يحافظون عنها مخافة من تلك العوامل التي قد تؤثر فيها فتتلفها لرقة معدنها وسرعة تأثرها وهذا المعنى هو الذي أراد النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يبلغه لهذا الحادي للإبل ولباقي الصحابة رضي الله عنهم حتى يستوصوا بالنساء خيرا ويحافظوا عليهن لأن طيقهن رقيقة وقد رزقهن الله بالعاطفة وأعطاهن أجسامنا لا يتحملن ما يتحمله الرجال من الشدة والقوة والتعب وفي هذا تظهر القيمة البلاغية لهذا التصوير النبوي فإذا أراد الرجل أن يحافظ على المرأة فإنه يضع أمام عينيه وبين يديه زجاجة ، ثم يسير بها وهي في يده ويقارن بين تلك الحركات والإحتياطات التي سيقوم بها قصد حفظ تلك الزجاجة من الانكسار والإتلاف ، فحينها سيجد نفسه قد أخد من أنتباهه الكثير وشغل بها كثير حتى قدر على حفظ تلك الزجاجة وهو يعلم أن هذه الزجاجة لو لم تعطيها كل ذلك لضاعت منه أو بها انكسرت وسوف يخسرها ، كذلك المرأة تحتاج من هذا الرجل من الجهد والعمل و الرعاية و الانتباه ما كان لتلك الزجاجة.

وأكثر من ذلك حتى لا يخسرها أو يكسرها أو يجرها ، فهي له بمثابة القارورة شفافة رقيقة لها أفضل وأحسن المشاعر والأحاسيس التي تحملها له ثم أهما مثل المرأة نقائصه وتجمل مع ذلك المرارة وعيوبه وتستره فهي مكمن سره في حضوره وغيابه ، وتعينه على نوائب الدهر وتربي أولاده وتحفظ عرضه وماله مثلها مثل القارورة ، لذا عليه أن يحافظ عنها ويجعلها نصب عينيه ويعاملها وفقط تلك الطيعة الرقيقة الشفافة الظريفة حتى لا تنكسر عواطفها وتجرح مشاعرها ويتغير فؤادها ، وهذا من أبلغ التصوير النبوي ، ويحمل من الجمالية ما لا يحمله الكلام العادي ، فلو قال النبي – صلى الله عليه وسلم – اخفض من صوتك يا أنجشه فإن المرأة لا تطيق إسراع الإبل ما كان لهذا الخطاب من معنى لأنه مبتذل متداول و مستهلك مع شيء آخر يزيد في ابتذاله و إهماله وهو التعامل السيئ يومها مع

المرأة فلا يكون له أي معنى و أي قيمة يحملها لهذا السامع ، لكن عندما صورها بهذه الصورة التي يعرف السامع قيمتها من حيث الاستعمال العادي والاستعمال اللغوي كانت ذات قيمة بلاغية كثيرة أدت رونقا وجمالا جعلا السامع يضفي إليها.

– المطلب الثاني :صورة الضلع

ومن الصور التي أطلقها الرسول – صلى الله عليه وسلم –على المرأة صورة الضلع حيث جاء في حديث البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : «المرأة الضلع وإن أقمتها كسرتها ، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج» .

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «استوصوا بالنساء ،فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج ، وإن أعوج الشيء في الضلع أعلاه ،فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء» .

ففي هذا الحديث أمر من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للأزواج والآباء والأخوة وغيرهم أن يستوصوا بالنساء خيراً وأن يحسنوا إليهن وأن لا يضربوهن وأن يعطوهن حقوقهن ، فهذا واجب على الرجل تجاه المرأة ولذا ينبغي أن لا يمنع من ذلك كونها شيء إلى زوجها أو إلي أقاربها بلسانها، أو بغير ذلك لأنهن خلقن من ضلع أعوج والغرض من هذا الحديث النبوي هو « توصية للرجال بالنساء خيراً ورعايتهن والإغضاء عما قد يقع منهن من هنات» [1].

وقد أشار القرآن إلى هذا الخلق من الضلع فقال تعالى «وخلق منها زوجها»[2] ، وهي حواء عليها السلام التي خلقت من ضلع آدم الأيسر وهو نائم فأستيقظ فرآها فأعجبته فأنس إليها وأنست إليه ، فعن ابن عباس قال: «خلقت المرأة من الرجل فجعل نهمتها في الرجل وخلق الرجل من الأرض فجعل نهمته في الأرض فحاسبوا نسائكم»[3] . وبين النبي – صلى الله عليه وسلم – أنها خلقت من ضلع ويقصد هنا« ملاطفة النساء والإحسان إليهن والصبر على عوج أخلاقهن واحتمال ضعف عقولهن وكراهة طلاقهن بلا سبب وإنه لا يطمع باستقامتها»[4].

1محمد عزة دروزة: المرأة في القرآن و السنة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1400هـ-1980م ، ص47.

2 سورة النساء، الآية 1.

3للإمام محي الدين الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول، ص 511.

[4] - للإمام محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي : صحيح البخاري بشرح النووي ، الجزء الخامس ، ص 245.

وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه «لأن الإقامة أمرها أظهر في الجهة العليا أو إشارة إلى أنها خلقت من أعوج أجزاء مبالغة في إثبات هذه الصفة لهن ، ويحتمل أن يكونوا ضرب ذلك مثلاً أعلى المرأة لأن أعلاه رأسها وفيه لسانها وهو الذي يحمل منه الأذى» .

واستعمل «أعوج» وإن كان من العيوب لأنه أفعل للصفة و أنه شاذا وإنما يمتنع عن الالتباس بالصفة فإذا تميز عنه بالقرينة جاز البناء، فإن ذهبت تقيمه كسرته يحتمل أن يكون المراد بكسره الطلاق وقد وقع ذلك صريحاً .

في رواية سفيان عن أبي الزناد عن مسلم حيث قال : «وإن ذهبت تقيمها كسرتها » وكسرها طلاقها وعن تركته لم يزل أعوج ، فيؤخذ منه أن لا يتركها على الاعوجاج إذا تعدت ما طبعت عليه من النقص إلى تعاطي المعصية بسبب شرتها أو ترك الواجب وإنما المراد أن يتركها على اعوجاجها في الأمور المباحة وفي الحديث الندب إلى المدارة لاستمالة النفوس وتأليف القلوب وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن والصبر على عوجهن، وأن من رام تقويمهن فإنه الانتفاع بهن مع أنه لا غنى لإنسان عن امرأة يسكن إليها ويستعين بها على معاشه فكأنه قال : « الاستمتاع بها لا يتم إلا بالصبر عليها، فاستوصوا بالنساء أي أوصيكم بهن خيراً فاقبلوا وصيتي فهن أعملوا بها»[1].

الصورة البيانية في الحديث :

«المرأة كالضلع » هنا تشبيه تام و التشبيه التام هو الذي تذكر فيه أركان التشبيه الأربعة «المشبه – المشبه به – الأداة – وجه الشبه » كقولنا : « المرأة كالضلع » الوارد هنا « كالضلع » حيث مثل المرأة بالضلع وهنا تدل على الهشة وكيفية المعاملة باللين وليس بالعنف إذا أنت عاملتها بالعنف خسرت[2].

ونجد عدة معاني للضلع :

[1] الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: فتح الباري بشرح صحيح، ج 9، ص 162.

[2] محمد عبد الحليم غنيم : البلاغة النبوية دراسة تطبقيه ، د ط ،س 2003 ، ص 6 .

الضلع : الاعوجاج أي يثقله حتى يميل ، الضّلَعُ : بالتحريك الاعوجاج خلقه يكون في المشي من الميل[1] – ضَلَعَ :ضلعاً ، أعوج فصار كالضلع وعن الحق : مال ومنه قيل : ضلعك مع فلان : أي ميلك وهواك ، وعليه : جار واعتدى ،ضَليعَ، ضَلعاَ: أعوج ، يقال ضَلِعَ مع فلان : مال إله وعاونه ويشبع وارتوى وصار أضلع أو ضليعاً ضلُعَ : ضَلاَعه: قوى واشتدت أضلاعه وفمه ، اتسع وتضامت أسنانه .

الضّلّعُ: عظم من عظام قفص الصدر منحني وفيه عرض و العود فيه اعوجاج وعرض» [2].

ضَلَع : الدين أي ثقل الدين يقال ضلعُك مع فلان أي ميلك معه وهواك ، الضلعُ بوزن الضرع الميل ضَلَع : يدل على ميل و اعوجاج ، فالضلع ضلع الإنسان و غيره ، سميت بذلك للاعوجاج الذي فيها ، ويقول القائل في وصف المرأة.

هي الضلع العوجاءُ لست تقديمها *** ألا إن تقويم الضلوع انكسارها[3]

كما أن الضلع منحني ودائري وغير مستقيم ، ومع ذلك فإن لهذه الحالة التي عليها الضلع أهميه كبرى وهو أنه يحمي الصدر ويحمي أهم شيء فيه وهو القلب والكبد والرئتين ،وهذا ما يعطينا قيمة الصورة البلاغية لهذا التصوير النبوي ، فرغم ما في المرأة من ضعف ورغم ما فيها من اعوجاج ورغم ما فيها من انحناء إلا أن هذا الانحناء وذلك العُوج هو أهم شيء في المرأة حتى تؤدي رسالتها فهي بعاطفتها تنحني على أسرتها وأولادها وتحفظهم كما يحفظ الضلع أهم شيء وهو القلب الذي به حياة الإنسان أو موته وهو أهم عضو في جسده كما بينه النبي – صلى الله عليه وسلم – في حديث آخر ، كما أن هذا العوج والضعف يساعد طبيعة المرأة في التعامل مع أسرتها بمختلف أفرادها فتحمل ما بهم ، فضعف المرأة الذي هو راجع لطبيعتها ولينها ورقتها وغلبة العاطفة عليها إنما يتناسب مع طبيعتها ومهمتها لذا وجب العناية بها ومراعاة هذا الضعف لأنه به تكتمل حياة المرأة وبه تؤدي

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج 10، ص 96.

[2] مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ص 542.

[3] للشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي : مختار الصحاح ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، د ط ، د س ، ص 483.

الدور المنوط بها، فلا ينظر الرجل إليها على أساس الاستقامة التامة حتى لا تنكسر ويكون كسرها طلاقها، لذا جاء التشبيه تاماً ويذكر فيه جميع أركانه ما يعطيه جمالاً وتأكيداً لتكون الصورة واضحة تامة بارزة المعاني محيطة بالمقصود وبالغة المراد كما يعرف الإنسان قيمة الضلع في جسمه وحساسيته وأهميته كذلك المرأة تماماً ذات قيمة في حياة الرجل ولها حساسية كبيرة وأهمية عظمى في الأسرى رغم ذلكم العوج الذي فيها ، وكل هذا حتى يراعى الرجل هذا العوج ويساره بما فيه ويحاول أن يسدده كي يقوم بدوره المنوط به.

المطلب الثالث : صورة الكنز

ومن التصورات النبوية للمرأة أنه شبهها بالكنز وقد ورد هذا في الحديث النبوي الذي رواه أبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال : « ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة : إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته».

فقال (خير ما يكنز المرء) أي بأفضل ما يقتنيه ويتخذه لعاقبته (المرأة) أي الجميلة ظاهرا وباطنا قيل فيه إشارة إلى أن هذه المرأة أنفع من الكنز المعروف ، فإنها خير ما يدخرها الرجل لأن النفع فيها أكثر لأنه (إذا نظر) أي الرجل (إليها سرته)أي جعلته مسرورا لجمال صورتها وحسن سيرتها ، وحصول حفظ الدين بها (وإذا أمرها) بأمر شرعي أو عرفي (أطاعته) وخدمته (إذا غاب عنها حفظته) قال القاضي : لما بين لهم – صلى الله عليه وسلم – أنه لأخرج عليهم في جمع المال وكنزهما داموا يؤدون الزكاة ، ورأى استبشارهم به رغبهم عنه إلى ما هو خير و أبقى وهي المرأة الصالحة الجميلة ، فإن الذهب لا ينفعك إلا بعد ذهابه عنك وهي مادامت معك تكون رفيقتك تنظر إليها فتسرك وتقضي عند الحاجة إليها وطرك ، وتشاورها فيما يعن لك فتحفظ عليك سرك ، وتستمد منها في حوائجك فتطيع أمرك ، وإذا غبت عنها تحامي مالك وتراعي عيالك» ، وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال:لما نزلت هذه الآية :«والذين يكنزون الذهب والفضة»[1].

قال كبر ذلك عن المسلمين ، فقال : يا نبي الله ، إنه كبر على أصحابك هذه الآية فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما »[2]. بقي من أموالكم ،وإنما فرض المواريث لتكون لمن بعدهم قال فكبر عمر ثم قال :«ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء ؟ المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته ، و إذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته »[3]. وهو يسأل عن كنز فما أديت منه فليس بكنز وعلى هذا ما هو ؟ فقال:«هو المال الذي لا تؤديه له الزكاة».

---

[1] سورة التوبة : الآية 34.

[2] الإمام الجاحد أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي ، سنن أبي داود ، ج 3 ، ص 97.

[3] المرجع السابق : ص 97.

المرأة الصالحة كنز للمؤمن إن طاعة الزوجة لزوجها سرا وعلانية فرض يقتضيه عهد الزواج وما من امرأة نبذت طاعة زوجها إلا وحل بها الشقاء ، ولحقها البلاء وكلما زادت طاعة الزوجة زوجها ازداد الحب والولاء بينهما ، وتوارثه أبنائها ، فلإخلاف المألوفة إذا تمكنت صارت ملكات موروثة يأخذها البنون عن أبنائهم والبنات عن أمهاتهن .

وقد حث النبي – صلى الله عليه وسلم – المرأة على تلك الطاعة والطاعة بمفردها دون حسن العشرة لا تكفي لأن المرأة ربما أطاعت زوجها وهي لا تحسن عشرته ، فتعمل ما يأمر به ، ولا تبحث ما وراء ذلك ، بنما حسن العشرة أن تطيعه فيما يأمر.

وتظهر رغبتها الصادقة في ذلك فترسم على وجهها ابتسامة الرضا ، وشمه إحدى الكلمات وتؤدي ذلك بحنان ورقة و المرأة أن وعت معنى الطاعة و أدتها بحقها فيقابلها بأضعاف ما أعطته حتى يصير الأمر كأنه هو الذي يعطيها ويلبي رغبتها ، قليل من النساء من يفهم ذلك ، وأقل منهن من تعمل به ولا شك أن طاعته تقوى أو أصر المحبة بين الزوجين ، وعند ما تحب الزوجة زوجها ستؤدي جميع حقوقها عليها ، وما ذلك إلا صورة عملية إشعار لزوجها بالحب الذي استمر في قلبها جاء عن عبد الله بن عمر بن العاص – رضي الله عنهما– أن – الرسول صلى الله عليه وسلم –قال : «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » ورواه النسائي وابن ماجه ولفظه , وقال « إنما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة».

إن الزوجة الصالحة ، محبة تبتسم لزوجها حينما ينظر إليها فلا تقطيب للحاجبين ، ولا نظرات شرره بل ابتسامات ، ومن طاعة الزوجة ألا تخرج إلا بإذنه ، و لا تأذن لأحد في بيته ألا بإذنه.

استخراج الصورة البيانية من الحديث : «إذا غاب عنها حفظته» هنا استعارة يقصد بها حفظ عرضها

مفهوم الاستعارة :

جاء في كتاب "في البلاغة العربية علم البيان" لمحمد مصطفى هدارة : «الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه .

وعرفها ابن المعتز بأنها : (استعار الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها) .

وعرفها الجرجاني : (وإنما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها)»[1].

وحتى ندرك مغز في هذا التشبه بالكنز لندرك قيمته البلاغية علينا أن نعرف معاني الكنز التي ذكرها أهل اللغة من ذلك أنه قبل ، فأن الكنز هو المال المدفون وقد كنزه من باب ضرب ، وفي الحديث «كل مال لا يؤدي زكاته فهو كنز»[2].

«ويؤيد هذا ما جاء عن مالك عن عبد الله بن دينار عن أبن عمر هو المال الذي لا تؤدى زكاته ، وروي الثوري وغيره عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر قال : ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين ، وما كان ظاهرا ولا تؤدي فهو كنز»[3].«ويقال الكنز الشيء اجتمع وامتلاء أي أن المرأة كالمال المدفون »[4].

كما جاء في المعجم الوسيط «هو دفنه تحت الأرض وجمعه وادخره، فهو كانز وكناز، والمال المكنوز»[5]. «والكنز أصيل صحيح يدل على تجمع في شيء من ذلك ناقة كناز اللحم ، أي تمعة وكنزت التمر في وعائه أكنزه وكنزت (الكنز) كنزه ، ويقلون في كنز التمر: وهو زمن الكناز »[6].

والكنز اسم للمال إذا أحرز في وعاء ولما يحرز فيه وقيل الكنز المال المدفون وجمعه " كنوز " كنزه بكنزه كنزا»[7]. وتكمن قيمة الاستعارة البلاغية في هذا الحديث في :أن المرأة أنفع من الكنز المعروف فإنها خير ما يدخرها الرجل لأن النفع فيها أكثر حيث تجعله سعيدا ومسرورا إذا أطاعته وحسنت إليه وخدمته كما أن الذهب لا ينفع إلا بعد ذهاب عنك، وهي ما دامت معك تكون رفيقتك تنظر إليها فتسرك، وتقضي عند الحاجة إليها فتحفظ عليك سرك، وتستمد منها في حوائجك فتطيع أمرك وإذا غبت عنها تحامي مالك وتراعي عيالك.

---

[1] محمد مصطفى هدارة : في البلاغة العربية علم البيان ، دار العلوم العربية ، لبنان ، ط 1 ،1989 م، ص 64.

[2] عبد القادر الرازي : مختار الصحيح ، ص 483.

[3] الإمام أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي : تفسير القرآن العظيم ، ج 2 ، ص 848.

[4] المرجع السابق ، ص 483.

[5] مجمع اللغة العربية ، المعجم و الوسيط ، ص 800.

[6] ابن فارس : مقاييس اللغة ، الجزء الخامس ، ص 131.

[7] ابن منظور : لسان العرب ، الجزء الخامس ، ص 477.

وكما أن الكنز نجيبه الإنسان للحاجة معنيات الزمن وما ينزل به من الحوائج ولا يرد أن يطلع عليه أحد كذلكم المرأة فإن الرجل نجيبها في بيته و يستحفظها على ماله وعرضه ويلجأ إليها من متاعب شغله وعند حاجته فيجدها نعم المعنى ونعم الكنز عند الحاجة ، وبهذا ندرك القيمة البلاغية لهذا التصور النبوي الشريف.

المطلب الرابع : صورة المتاع

ومن بين الصور التي صور رسول الله – صلى الله عليه وسلم- المرأة أنه صورها بالمتاع كما جاء في الحديث النبوي عن عبد الله بن عمرو أنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»[1]. ففي هذا البيان النبوي بين بأن الدنيا متاع والمتاع انتفاع ممتد من قولهم« جبل ماتع أي مرتفع »[2].

وهو كذلك متع من النهار إذا طال وشبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويعزه حتى يشتريه ثم يتبن له فساده ورداءته«وخير متاعها المرأة الصالحة ».قيد بالصالحة إيذانا بأنها شر المتاع لولم تكن صالحة وقال الأكمل :« بالصالحة التقية المصلحة لحال زوجها في بيته المطيعة لأمره وفيه إيماء إلى لطيب حلال في الدنيا : لأنه سبحانه وتعالى»[3].

زين الدنيا بسبعة أشياء ذكرها بقوله : ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ اَلْشَّهَوَاتِ**﴾[4]. السبعة هي ملاذها وغابة آمال طلابها وأعمها رتبة وأعظمها شهوة النساء ولأنها تحفظ زوجها عن الحرام عينه على القيام بأمور دنية ودنياه وكل لذة أعانت على لذات الآخرة فهي محبوبة مرضية لله تعالى صاحبها يلتذ بها من جهة تنعمه وقرة عينه بها ومن جهة إيصالها له إلى مرضاة الله تعالى.

وقال بعضهم:لما كان القصد بسياق الحديث بيان ما أضافه النبي – صلى الله عليه وسلم – من متاع الدنيا بدأ بالنساء كما قال في حديث الآخر أصابنا من دنياكم إلا النساء ولما كان الذي حبب الله إليه من متاع الدنيا هو أفضلها النساء بدليل خير الدنيا متاع وخيرها متاعها المرأة الصالحة ،

---

[1] محي الدين أبي زكريا : صحيح مسلم بشرح النووي ،كتاب الطلاق ، ج 5 ، ص245.

[2] محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني الصغاني المتوفى 1182 هـ، التنوير شرح الجامع الصغير ، ج 6 ، ص 142.

[3] جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري : الكشاف ، ج 1 تح ، عادل أحمد عبد الموجود على محمد عوض ، مكتبة العبيكة ، مصر ، د ط ، دس ، ص 225.

[4] أل عمران ، الآية 14.

ناسب أن يضم إليه بيان أفضل الأمور الدينية وهو الصلاة فالحديث على أسلوب البلاغة من جمعة بين أفضل أمور الدين وفيه ضم الشيء إلى نظيره .

ومتعة المرأة : ما وصلت به بعد الطلاق وقد متَّعُها[1]، كما قال الله تعالى ﴿**وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين**﴾[2].« والتمتع الذي ذكره الله عز وجل للمطلقات على وجهين :

أحدهما واجب لا يسعه تركه والأخر غير واجب يستحب له فعله ، فالواجب للمطلقة التي لم يكن زوجها حين تزوجها سمي لها صدقا ولم يكن دخل بها حتى طلقها فعليه أن يمتعها بما عز وهان من متاع ينفعها من ثوب يلبسها إياه ، أو خادم يخدمها أو دراهم أو طعام ، وهو غير موقف لأن الله عز وجل لم يحصر بوقت ، وإنما بتمتعها فقط»[3]. كما في قوله تعالى: ﴿**على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف**﴾[4].

وأما المتعة التي ليست بواجبة وهي مستحبة من جهة الإحسان والمحافظة على عهد ، فأن يتزوج رجل امرأة ويسمي لها صداقا ثم يطلقها قبل دخوله بها أو بعد فيستحب له أن يمتعها بمتعة سوى نصف المهر الذي وجب عليه لها ، إن لم يكن دخل بها ، أو المهر الواجب عليه كله ، إن كان دخل بها ، فيمتعها بمتعة ينفعها بها وهي غير واجبة عليه ولكنها تستحب في حقه ليدخل في جملة المحسنين والمتقين ، والعرب تسمي ذلك كله متعة ومتاعا وتحميما وحما [5].ومن خلال تتبعنا لهذا الحديث وجدناه يحمل في طياته تشبيها بليغا حيث شبه المرأة بالمتاع . والتشبه سبق لنا تعريفه ، ومن أنواعه التشبيه البليغ : وهو ما حذف المشبه به وبقي المشبه ، ومنه أداة التشبيه ووجه التشبيه .

---

[1] زين الدين محمد المدعو عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن على زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى 1031 هـ) ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ج3، الناشر المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط.1 ، س 1356 ، ص 371.

[2] البقرة ، الآية 241.

[3] لسان العرب ، ج 8 ، ص 392 – 393.

[4] البقرة الآية ، 236.

[5] المرجع السابق ، ص293.

قال ابن رشيق في كتابه العمدة : «والتشبيه الحسن هو الذي يخرج الأغمض لأوضح فيفيد بيانا التشبيه القبيح ما كان خلاف ذلك»[1] .

وشبه المرأة بالمتاع لأنه تشبه المتاع في قيمتها ومكانتها وما يملك الرجل من حاجات فيكون هنا من التشبيه البليغ الذي يجمع بين البيان و الإيجاز و الطرافة ودقة الصورة[2].

ومعنى هذا أن ما تقع عليه الحاسة أوضح في الجملة مما لا تقع عليه من الغائب ، فما يدركه الإنسان من نفسه أوضح في الجملة مما لا تقع عليه مما يعرفه من غيره وهذا من خلال تشبيه المرأة بالمتاع وذلك فيه مبالغة كبيرة وكلمة متاع لها عدة معاني تستعمل في العديد من المواضع من ذلك[3]:

- (م ت ع) (المتاع) «السلعة وهو أيضا المنفعة وما تمتعت به وقد (متع)به أي انتفع من باب قطع»[4]، قال الله تتعالى ﴿**ابتغاء حلية أو متاع**﴾[5].

وكذلك في باب (الميم و التاء والعين)(متع) «أصل صحيح بدل على منفعة وامتداد مدة في خير ، منه استمتعت بالشيء والمتعة و المتاع ، المنفعة في قوله تعالى : ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ**﴾[6].

ومتعة المطلقة بالشيء ، لأنها تنتفع ويقال أمتعه بم إلى، بمعنى تمتعت قال:خليطين من شعبين شتى تجاوزا قديما وكان للتفرق أمتعا ماتع :جيد ومعناه أن المدة نمتدّ به ، يقولون : متع النهار طل : ومتع النبات ، فأما ما قال النابغة :

إلى خير دين تسكنه قد *** علمته وميزانه في سورة البرَّ[7]

---

[1] مصطفي الضاوي الحويني ، البلاغة العربية تأصيل و تجديد ، دار النشر المعارف ، الإسكندرية ، د ط ، د س ، ص 85.

[2] محمد عبد الحليم غنيم : البلاغة النبوية دارسة تطبيقه ، د ط ، 2003، ص 07.

[3] المرجع السابق ، ص85.

[4] عبد القادر الرازي : مختار الصحيح ، ص 510.

[5] سورة الرعد، الآية 17.

[6] سورة النور ، الآية 29.

[7] الحسين أحمد بن فارس : مقياس اللغة ج 5 ، ص 293- 294.

وكذلك في (متع): مَتّعَ النبيذُ يَمْتَع مُتوعاً :اشتدّت حمرته ونبيذ ، ماتع أي شديد الحمرة ومتع الحْبلُ : اشتد وحبل ماتعُ: جَيَّدُ الفتلِ ويقال للجبل الطويل: ماتع ، ومنه حديث كعب الدجّال يُسّخَرُ معه جبلُ ماتع خلاطهُ ثريدُ أي طويل شاهق ، ومتع الرجل ومتّع : جاد وظرف». وقد كرر الله تعالى المتاع والمتُعة والاستمتاع والتمتع في المواضع من كتابه.

قال الأزهري « فأما المتاع في الأصل فكل شيء ينتفع به ،ويتبلغ به ويتزوّد والفناء يأتي عليه في الدنيا »[1]. والمتاع : التمتع كل ما ينتفع به ويرغب في اقتنائه كالطعام وأثاث ، البيت والسلعة والأداة والمال. المتعة وما ينتفع به من الصيد والطعام . «أن تضم عمرة إلى حجك، وزواج المتعة: أن تتزوج امرأة، تمتع بها وقتا ما لا تريد إدامتها لنفسك، ومتعة المرأة ما وصلت به بعد الطلاق لتنتفع بم من نحو مال أو خادم ج (متع)»[2].

والقيمة البلاغية التي يحملها هذا الحديث تتمثل فيما يكون من قيمة المرأة الصالحة في بيت زوجها كما في قوله – صلى الله عليه وسلم –الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » يعنى بأن الدنيا متاع أي شيء يتمتع به ، كما يتمتع المسافر بزاده ثم ينتهي ، وخير متاعها المرأة الصالحة :إذا وفق الإنسان لامرأة صالحة في دينها وعقلها فهذا خير متاع الدنيا : لأنها تحفظه في سره وماله وولده و إذا كانت صالحة في العقل أيضا فإنها تدبر له التدبير الحسن في بيته وفي تربية أولاده إن نظر إليها سرته ، وإذا غاب عنها حفظته و إن وَكَلَ إليها لم تخنه ، فهذه المرأة هي خير متاع الدنيا. ولهذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم- «تنكح المرأة لأربع ، لمالها وحسبها وجمالها ودينها فأظفر بذات الدين تربت يداك». يعنى عليك بها فإنها خير من يتزوجه الإنسان فذات الدين وإن كانت جميلة الصورة في خلقها ودينها فأظفر بذات الدين تربت يداك وهنا تظهر لنا جمالية القيمة البلاغية لهذا التصوير النبوي حيث شبه المرأة بالمتاع ، لأن المتاع ثمين ولأنه مهم في حياة الإنسان وفي أهم محطاتها التي تحتاج المتاع وهو السفر ، ولأنه خصص لقضاء مرحلة معينة من أولها إلى آخرها الإنسان يعطيه عناية

[1] لسان العرب :ج 8،ص 390.

[2] المعجم الوسيط : ص 852- 853.

كبيرة حتى يبلغ به مقصوده وغايته ثم أدى مع ذلك بلازمه ويحمله ولا يفارقه وعندما يتعب من المشي وقطع المراحل ويخلد لقليل من الراحة فإنه يخرج متاعه ليأخذ من ما يزوده على إكمال المسير. هكذا هذه المرأة مثلها مثل المتاع يتخذها الإنسان متاعا ليقطع معها وبها سافة سفره في هذه الحياة يحتاج إليها عند قطع المسافات والمراحل في الحياة في مختلف أطوارها. وقد جاء هذا التصوير في مجتمع عربي يخوض غمار الأسفار، في الصحراء القاحلة ويعرف قيمة متاع في أسفاره، وأهمية المحافظة عليه والتي تعرض الإنسان المخاطر و المهالك فقد يقطع المسافات كثيرة ولا يجد من يؤنسه أو يضعه في فمه ، لذا يحافظ عن ذلك المتاع لأنه يعرفه بأنه به حياته أو موته ، وهذا ما يظهر في هذه القيمة البلاغية لهذا التصوير النبوي حتى تعرف قيمة المرأة وأهميتها في حياة الرجل.

المطلب الخامس: صورة ناقصات عقل ودين

ومن الصور التي أطلقها البيان النبوي عن المرأة أو النساء عموما أنهن ناقصات عقل ودين كما جاء في صحيح مسلم بشرح النووي أن الرسول – صلى الله عليه وسلم- قال : «يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار ؟ قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن " قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين ؟ قال " أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل ، فهذا نقصان العقل ، وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان فهن من نقصان الدين»[1].

«أما المقصد من هذا الحديث الذي يذكر نقص عقل المرأة ودينها وكون النساء أكثر أهل النار فإن إيماننا بحكمة الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – يأبى التسليم بناء على تلك النصوص والتلقينات بصدوره عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقصد وصف جميع النساء على اختلاف أوضاعهن بذلك ، فهن بإضافة إلي تلك النصوص التي احتوت ما احتوته النصف الثاني الذي لا تتم الإنسانية إلا به وهن أمهات النصف الثاني ومرضعاته ومربياته وراعياته ، وهن نصف أمة محمد التي وعدها الله بالجنة وقرة العين ، ويأبى التسليم بأن رسول الله قد قرر تقريراً لكونهن أكثر أهل النار واقعا لأنهن يكفرن العشير ويكثرن اللعن وهو يعلم من دون ريب أن هذا لا يكون عادة إلا من أقلية من النساء التي لا تطيع أزواجهن وأن أكثريتهن مؤمنات لهن الجنة حتما وقد وعدن بذلك مثل الرجال ، ويأبى التسليم بأن الله ورسوله يعتبر أن فطر الحائض وعدم صلاتها دليل على نقص دين النساء مع أن ذلك بترخيص منهما وقد رخص للمؤمن بكلمة الكفر عند الإكراه إذا كان قلبه مطمئنا بالإيمان»[2]. لذا لا ريب أن رسول الله لا يريد التنقيص من أهلية المرأة ولا لأهانتها أو تحقيرها.

وقد بين العلماء مقصده – صلى الله عليه وسلم – لأنه أراد شيئا آخر ، يقول النووي:«وأما وصفه – صلى الله عليه وسلم – للنساء بنقصان الدين لتركهن الصلاة والصوم في زمن الحيض فقد

[1] محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي (631-672هـ) ، صحيح مسلم بشرح النووي ،ج 1 ، ص 282 .

[2] محمد عزة دروزة : المرأة في القرآن و السنة ، دار النشر ، بيروت ، ط 2 ،سنة 1400هـ- 1980م ، ص 48.

يستشكل معناه وليس بمشكل بل هو ظاهر فإن الدين والإيمان و الإسلام مشتركة في معنى واحد كما قدمناه في مواضيع أن الطاعات تسمى إيمانا ودينا ، وإذا ثبت هذا علمنا أن من كثرة عبادته زاد إيمانه ودينه ومن نقصت عبادته نقص دينه»[1]. وبعد شرحنا للحديث شرحا موجزاً نستنتج الصورة البيانية في عبارة " ناقصات عقل ودين " حيث تتمثل هذه الصورة في الكناية أما نوع الكناية في هذه العبارة فهي كناية عن نسبة.

أولاً: مفهوم الكناية عن نسبة :

«أي نسبة الصفة إلى شيء متعلق بالموصوف في التركيب اللغوي وهذا النوع من الكناية لا يأتي إلا مركباً»[2] «وقد يكون المكنى عنه نسبة يراد بها الصفة للشيء بإثباتها لما يلابسه ويعد جزءا منه»[3]. ولقد تعددت مفاهيم " النقص " في عبارة ناقصات عقل ودين والتي كانت أساس العبارة في عدة معاجم ، نذكر أهمها كما جاء في معجم الوسيط بأن « النقص: هو ضعف يقال أصابه نقص في عقله ودينه ، والنقصان : المقدار الذاهب من المنقوص ، ونقص الشيء أي أخذ منه قليلا قليلا ، وفلانا عابه وأستنقص الشيء عدهُ ناقصا ، وأنسب إليه النقصان والثمن طلب نقصه »[4].أما ما جاء في معجم مقاييس اللغة فالنقص يعنى كلمة واحدة هي: «خلاف الزيادة»[5] ، «والنقص : نقص أي الخسران في الحظ والنقصان يكون مصدراً ويكون قدر الشيء الذاهب من المنقوص»[6].

ومن هنا يتبن أن كلام الرسول – صلى الله عليه وسلم – يفيد تخصيص إذهاب عقول الرجال الأشداد بالنساء والغرض هو التنبيه والتنبه والحقيقة أن نقص العقل والدين شيء نسبي فقد

[1] محي الدين أبي زكريا محي بن شرف النووي : صحيح مسلم بشرح النووي ، ج 1 ، ص 282.
[2] محمد عبد الحليم غنيم : البلاغة النبوية دراسة تطبقيه ، سنة 2003 ، ص 04.
[3] محمد مصطفى هدارة : في البلاغة العربية – علم البيان –، دار العلوم العربية ، بيروت ، ط 1 ، 1409هـ-1989م، ص 84.
[4] المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، ص 947.
[5] معجم مقياس اللغة ، ص 470.
[6] ابن منظور : لسان العرب ، م 7 ،ص112.

تجد امرأة أكمل عقلا من الرجل و أعظم دينا أضف إلى ذلك التفاوت بين الكامل والأكمل الناقص والأنقص ، ثم أضف إلى أن العيوب في النساء "كونهن ناقصات عقل ودين " فقد تبين أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – ما أراد التنبيه إلى نقصان العقل والدين وإنما أراد التنبيه إلى إذهاب عقول الرجال بالافتتان بهُن ، ولهذا رتب العذاب على ما ذكر من الكفران وغيره لا على النقص.

ومن هذا تظهر لنا القيمة البلاغية لهذا البيان النبوي في هذه الصورة ، فهي تكمن في أن النبي – صلى الله عليه وسلم – صور النساء بأنهن ناقصات عقل ، وهذا في ظاهرة تقليل من شأن المرأة وأهليتها لكن البيان النبوي وضع هذه الصورة في شقها الإيجابي وليس السلبي فهو يريد رغم هذا الضعف في المرأة إلا أنها تستطيع بما عندها من قوة وذكاء ودهاء أن تؤثر في أقوى الرجال عزما وثباتا وشدة رغم هذا النقصان الذي يعتر بها فبإمكانها أن تستغل ذلك في جانب الخير لا جانب الشر وذلك أنه لو وضعنا القوى الذي لا يعتريه نقص بأنه يؤثر في غيره لما كان لهذا كلام من قيمة بلاغية عند السامعين لأنه معروف بالطبيعة أن القوى يؤثر في من هو أضعف منه ، لكن عندما يقال بأن الناقص أو الضعيف يؤثر في القوي الشديد الحزم فهذا غير عادي للمتلقين ، وليس من السهولة وليس بأن يتقبلوه ، لذا كان التصوير النبوي في أروع مقام وأكثر جمالية حين تلقى السامعين بصورة غير مألوفة عندهم ليقرر حقيقة في المرأة ربما تراها في ذاتها وهي أن بها قوة خفية داخلية تستطيع بها التأثير في أقوى الرجال رغم الصورة المشاعة بأن المرأة ضعيفة ، وهذا توجيه منه – صلى الله عليه وسلم – لقدراة المرأة كي تعين الرجل على المعروف والخير والطاعة ولا تحقر نفيا أو توجه هذه القدرة وهذا السلاح المؤثر في غير المعروف والخير ، فيحنها يذكر – صلى الله عليه وسلم – قدرة المرأة بما تملكه من قوة العاطفة واللين والرقة وتأثيرها الشديد على لب وعقل الرجل الحازم يبين لنا هذا السلاح الحاسم الذي تتميز به المرأة عن الرجل و بذلك فإنهن يقلبن بسلاح العاطفة وسلطان الاستعطاف أهل الحزم والألباب من عقلاء الرجال ويخترقن بالعواطف الرقيقة أمنع الحصون ، ولأن عاطفة المرأة أقوى فإنها تحكم على الأشياء متأثرة بعاطفتها الطبيعية وهذا أمر مطلوب لمهمة المرأة ، إذن فالعقل هو الذي يحكم الهوى و العاطفة وبذلك فالنساء ناقصات عقل لأن عاطفتهن أزيد،والمرأة قد خلقها

الله بغير هذه الصرامة أو على الأقل بغير قدر كبير منها تورث الهيبة، وهو أيضا مدح للعاطفة الرقيقة التي تذهب بحزم ذوي العقول و الألباب ...ويا بؤس وشقاء المرأة التي حرمت من شرف امتلاك هذا السلاح الذي فطر الله النساء على تقلده والتزين به في هذه الحياة ، فنحن نجد الأب عندما يقسو على الولد ليحمله على منهج تربوي مثلا فإن الأم تهرع لتمنعه بحكم طبيعتها والإنسان يحتاج إلى الحنان و العاطفة من الأم ، وإلى العقل من الأب وأكبر دليل على عاطفة الأم تحملها لمتاعب الحمل والولادة والسهر على رعاية طفلها ولا يمكن لرجل أن يتحمل ما تتحمله الأم ونحن نشهد جميعا على ذلك ، أما ناقصات دين فمعنى ذلك أنها تعفى من الأشياء التي لا يعفى منها الرجل أبداً فالرجل لا يعفى من الصيام بينما هي تعفى من الصيام كذلك عدة أيام في الشهر... الجهاد والجماعة وصلاة الجمعة ، وبذلك فإن مطلوبات المرأة الدينية أقل من مطلوبات الرجل، وهذا تقرير من الله سبحانه وتعالى لمهمتها وطبيعتها وليس لنقص فيها ولذلك كلفت المرأة بأشياء لم يكلف بها الرجل كما كلف الرجل بأشياء لم تكلف بها المرأة كل حسب طبيعته ووظيفته التي جاء بها فهي ناقصة على الرجل فما كلف به وهو أيضا ناقص على ما كلفت به لتظهر لنا أن النقص ليس مراد لذاته وإنما أريد لشيء أخر وهو تسخير القوى الخفيفة الكاملة في المرأة.إذا فالمرأة لا يعيبها أن تكون ناقصة عقل ودين بهذا المعني ، بل هذا يصلحها ويصلح أسرتها وذويها ، كما أن الرجل لا يصلحه أن يكون ذا عاطفة جياشة ، تغلب صرامته حين يتطلب منه الموقف أن يكون صارماً. فنقصان الدين عند المرأة من باب الدين والإيمان والإسلام بمعنى واحد ، والطاعات تسعى إيمانا ودينا ، فإذا زادت تلك الطاعات زاد الدين والعكس إذن نقصان دين المرأة من باب قلة الطاعات في وقت تركها للصلاة والصوم أما نقصان عقل المرأة تقول ليس مقصورا على المعاملة في الدين فقط بل العقل يطلق ويريده المنهج الذي يلتزم به المرء ويخضع نفسه إذا واجهه موقف معين وهو حكمة ربانية لا بد منها لتكافؤ العلاقة بين المرأة والرجل.

خاتمة

خاتمة

بفضل الله وبحمده نأتي على نهاية البحث و لكن قبل طي الصفحة الأخيرة نلخص أهم ما فيه فيما يلي:

– إن البيان في تعريف أهل اللغة هو ما بين به الشيء من دلالة وغيرها واصطلاحا هو اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهو كذلك " معرفة إيراد المعنى في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه ".

– وأن من أهم خصائص البيان العربي :

1) الاستغراق في إبداع المعنى : هو تبليغ المعنى المراد توصيله للمخاطب بألفاظ دالة على ما يريد المتكلم التعبير عنه .

2) الإجادة في استحضار صورة المعنى : الإتقان في إبراز استحضار دقائق الصورة التي رسمت للمعنى أثناء الكلام.

3) الإحاطة بالمضمون روحا وبالمقصود جسداً ، لأن المضمون بمثابة روح النص أو كلام ، أما المقصد فهو بمثابة الجسد له.

4) شموله على ما يشعر المتلقي معه بنبض الحياة فيه .

وتتمثل خصائص البلاغة النبوية فيما يلي :

1) الإيجاز : تعتبر هذه الخصيصة من أبرز خصائص البيان النبوي وهي تعني اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل.

2) البعد عن التكليف : فكان أسلوبه – صلى الله عليه وسلم – بعيد عن التكلف و الصنعة.

3) التصوير وضرب المثل : فكان تصويره رائع يدل على سره في الإبداع و الجمال بحيث يعجز أي بشر عن الإتيان بمثله.

4) دقة وصف : الوصف الدقيق النابع من البصيرة النافذة ، وحسن الإدراك و التدفق العاطفي.

5) الموسيقى النثرية : تعتبر من صفات الجودة في الأسلوب ، وهي أمر مرتبط بالموهبة و الأذن المرهفة والذوق السليم.

– ولقد وصف الرسول – صلى الله عليه وسلم- المرأة بعدة صور منها :

1) صورة قوارير: وذلك لأنها تحمي وتحفظ الرجل في أمور وكذلك سهلة من خلال عواطفها وهي حساسة ورقيقة ، ليزين بها جمال المرأة ومكانتها في المجتمع.

2) وكذلك صورة المرأة بالضلع لما يدل عليه من الهشة وكيفية المعاملة باللين وليس بالعنف لضعفيهن

3) صورة المتاع : حيث شبهها بالمتاع لما ينتفع به الرجل ومتاع المسافر زاده والمرأة مرآة المجتمع إذ صلحت صلح المجتمع وإذا طلحت طلح.

4) وكذلك صورة الكنز:حيث وصفها بكنز وهي دلالة عن قيمتها، فهي تكنز بالذهب الخالص، وهن كذلك كنز الرجل ويقدر ذلك بالكنز الثمين.

5) وصورة النقصان : عرب كذلك عنها بناقصات عقل ودين ، وهذا ليس استهزاء بالمرأة واحتقار لمكانتها ولكن لمجاملتها وبيان قيمة عقلها الذي ينصب في أمور الدين و الدنيا ، وهو كمال لدينها وليس لنقص فيها .

وفي الأخير نسأل الله أن نكون قد قربنا وسددنا و الحمد لله رب العالمين

قائمة
المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع :

- القرآن الكريم برواية ورش

- إسماعيل نواهضية ، بلاغة النبي ، فلسطين ، مجلة الإسراء ، عدد6 ،1147.

– جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف ، ج 1 ، تح. عادل أحمد عبد الموجود على محمد عوض ، مكتبة العبيكة ، مصر.

– أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مقياس اللغة ، دار الجيل بيروت ، 395 هـ.

– أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي ، سنن أبي داود ، تحقيق شعيب الارنؤوط ، دار الرسالة العالمية ، دمشق ، 1430 هـ -2009م ، الجزء الثالث.

– رحمن غركان ، نظرية البيان العربي (خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي نظير وتطبيق) ، دار الراني ، مطبعة دار الخير ، ط 1 ، دمشق ، 2008.

– أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي.

– زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين ، الجامع الصغير ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط 1 ، 1356هـ.

– طالب محمد الزوبعي وناصر الحلاوي ، البلاغة العربية.البيان .البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1996.

– أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين ، دار الكتب العالمية ، بيروت .

– عائشة حسين فريدة ، البيان في ضوء الأساليب العربية ، دار قباء ، 2000.

– عبد الرحمن بن حسين حبنكه الميداني الدمشقي ، البلاغة العربية ، دار القلم ، دمشق ، بيروت ، ط1 ،1416هـ-1992م ، ج 2.

– عبد العزيز بن صالح العمّار ، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن دراسة بلاغية تحليله ،ط 1 ، 1427هـ-2006م.

– عبد الفتاح لا شيني ، من بلاغة الحديث النبوي الشريف ، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 1402هـ-1980م.

– أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج 4.

– علي الحازم و مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، البلاغة الواضحة. البيان.المعاني. البديع، دار المعارف.– علي عبد الرزاق، علم البيان وتاريخه، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1.– مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي ، قاموس المحيط ، بيروت ، ج4.

– مجمع اللغة العربية ، معجم الوسيط.

– محمد أبو العلا أبو العلا الحمزاوي ، الخصائص البلاغية للبيان النبوي ، مكتبة الرشد ، 1453 هـ -2007م. – محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس ، لبنان.

– محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني الصنعاني ، التنوير شرح الجامع الصغير ج 6.– محمد صباغ ، الحديث النبوي " الشريف "–مصطلحه.بلاغته. كتبه – ، المكتب

الإسلامي ،ط 4 ، 1981.

– محمد عبد الحليم غنيم ، البلاغة النبوية "دراسة تطبقيه ".

– محد عزه دروزه ، المرأة في القرآن الكريم و السنة ، دار النشر ، بيروت ، ط 2 ، 1400هـ – 1980م.

– محمد مصطفي هدارة ، في البلاغة العربية – علم البيان ، دار المعارف العربية ، بيروت ، ط1409،1هـ-1989م.

– مصطفي صادق الرافعي ، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، دار الكتب العربي ، ط 9 ، 1494هـ – 1974م.– مصطفى صادق الرافعي ، البلاغة النبوية.

– مصطفى صادق الرافعي ، السمو الروحي الأعظم و الجمال النقي والبلاغة النبوية، دار النشر للثقافة والعلوم.

– ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ، لسان العرب ، المؤسسة المصرية العامة.

– مصطفي الضاوي الجويني ، البلاغة العربية تأصيل وتجديد ، دار النشر المعرف ، الإسكندرية .

– أبي الفداء إسماعيل بن كثي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 1. – فيصل حسين طحيمر العلى ، البلاغة الميسرة في المعاني والبيان و البديع ، مكتبة دار الثقافة ،ط1، 1995.

فهرس
الموضوعات

مقدمة.....أ

المبحث الأول : مفهوم وخصائص البيان النبوي

المطلب الأول : مفهوم البيان 10

أ– لغة 10

ب–اصطلاحا 11

المطلب الثاني : خصائص البيان العربي 13

أ– الاستغراق غي إبداع المعنى 13

ب – الإجادة في استحضار صورة المعنى 16

ج– الإحاطة بالمضمون روحا و بالمقصد جسدا..... 18

د –شموله على ما يشعر المتلقي معه بنبض الحياة فيه..... 20

المطلب الثالث : بلاغة البيان النبوي 22

أ– الإيجاز..... 25

ب – البعد عن التكليف 26

ج– التصوير و ضرب المثل..... 28

د– دقة الوصف 29

هـ– الموسيقى النثرية 31

المبحث الثاني : صورة المرأة في البيان النبوي

المطلب الأول : صورة القوارير..... 35

المطلب الثاني : صورة الضلع 38
المطلب الثالث : صورة الكنز..... 42
المطلب الرابع : صورة المتاع..... 46
المطلب الخامس : صورة ناقصات عقل ودين..... 51
خاتمة..... 56
قائمة المصادر والمراجع..... 58
فهرس الموضوعات 63

تم بحمد الله